



جامعة البويرة



جامعة البويرة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

موسومة ب

الصراعات الإجتماعية في منطقة زواوة أواخر العهد العثماني وبداية  
الإحتلال: - ذهنية الثأر وظاهرة الصفوف-

إشراف الأستاذ:

\* د.سعداوي مصطفى

إعداد الطالبتين

\*زان كريمة

\*شباب مليكة

السنة الجامعية: 2018-2019 م الموافق / 1439هـ-1440هـ



جامعة البويرة



جامعة البويرة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

الصراعات الاجتماعية في منطقة زاوية أواخر العهد العثماني وبداية  
الإحتلال: -ذهنية الثأر وظاهرة الصفوف-

إشراف الأستاذ:

\* د. سعداوي مصطفى

إعداد الطالبتين

\*زان كريمة

\*شباب مليكة

اللجنة المناقشة:

1-.....رئيسا

2.....مناقشا

3.....مشرفا

السنة الجامعية: 2018م-2019 م الموافق / 1439هـ-1440هـ

## شكر وعرافان

أول من نشكر الله عز وجل الذي خلقنا في أحسن تقويم وقدرنا  
على إنجاز علمنا هذا ويسره لنا

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف: "سعداوي مصطفى"  
الذي رفقنا طيلة إنجازنا لهذا العمل ولم يبخل علينا بنصائحه  
وتوجيهاته القيمة

كما نتقدم بالشكر والعرافان إلى: "وهاب عقيلة" التي ساعدتنا في  
إنجاز هذا العمل.

وإلى كل من ساهم في مساعدتنا من قريب أو من بعيد.

"كريمة مليكة"

## إهداء

الحمد لله الذي أنار لنا الطريق وقدرنا على إنجاز هذا العمل المتواضع اهدي  
ثمرة هذا الجهد إلى القلب الحنون والدافئ ومنبع كل فرح وبلسم كل جرح "أمي  
الغالية"

إلى من كان سندا لي في الحياة اليومية والدراسية وكان سببا في نجاحي وشعلة  
أنارت دربي "أبي العزيز"

إلى كل أخواتي "تسعديت" وزوجها "سعيد" وأولدها "نعيمة" وزوجها "رابح" وأولادها  
"كهينة" وزوجها "مراد" وأولادها "فريدة" وزوجها "محمد" وولدها و"حدة" وزوجها  
"موح رزقي" و"عبد الرزاق" و "أحمد"

والى من شاركتني ورافقتني الدرب وساعدتني صديقتي الغالية "كريمة"

إلى اعز ما عرفتني الجامعة صديقتي الغالية "بيشو" وعائلتها الرائعة

إلى أروع صديقة ليلى وعائلتها

وإلى كل من رافقتني مشواري الدراسي بحلاوتها ومرارتها: "صبرينة" "تسعديت"

"إنتصار" "أميرة" "رشيدة" "رندة" "زوزو" "ويزو" "ريمة" "لامية"

إلى من يسعهم قلبي ولا تسعهم هذه الورقة

وشكرا

مليكة شباب

## اهداء

ها أتى مشوارنا على الوصول إلى الرصيف، بعد الجسور التي عبرناها، والعراقيل التي  
مرناها والليالي التي سهرناها للصباح لا ننام. واستهنا بكل غالي كي نحقق الحلم. ومع  
هذا إن قمة الجبال تستحق لا جرم...

أهدي ثمرة جهدي...

إلى التي تملك جنة تحت القدم، إلى من غمرتني بدعائها عقب كل صلاة، إلى التي  
ينحني القلب والقلم لذكرها. "أمي الغالية".

ي خير عون كان لي عند المحن، إلى مثلي الأعلى وقدوتي في الحياة إلى من يسعى  
بجده ودعوته لبلوغي ذروة الأمان. أبي الغالي.

ل أفاض لسان كل شكر كل المعاني من عربي أو عجمي لا توفي شكرهما أطال الله  
في عمرهما يا رب.

إلى مصابيح دربي وشموع حياتي، إلى من تقاسمت همومي وأحزاني معهن "أخواتي  
العزيزات"

لي كل الأهل والأقارب والأصدقاء كل باسمه، وأخص بالذكر صديقتي الغالية "مليكة"  
من كانت لي سند في أوقاتي الصعبة أدام الله صداقتنا.

إلى كل من أحبني وأحبيته في الله

"زان كريمة"

## قائمة المختصرات

---

### المختصرات بالعربية:

- ص: الصفحة

- ط: الطبعة

- تح: تحقيق

- د ت: دون تاريخ

- د ط: دون طبعة

- د م: دون مكان النشر

- ج: الجزء

- تق: تقديم

- تر: ترجمة

- تعل: تعليق.

- الخ: إلى آخره.

- تع: تعريب.

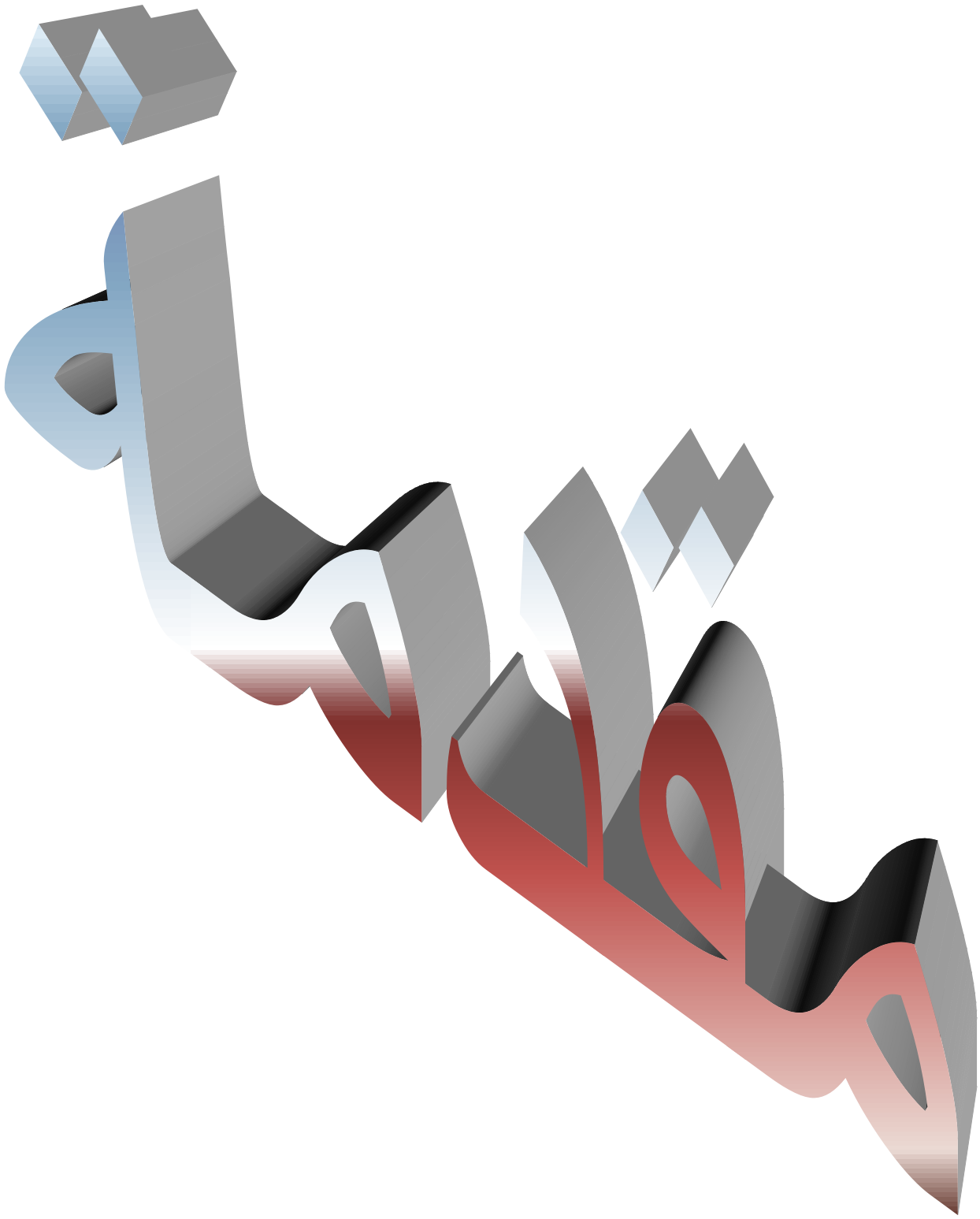
- مر: مراجعة.

## قائمة المختصرات

---

### المختصرات بالفرنسية:

- صفحة: p
- Ibid : نفس المرجع
- Op.cit: المرجع السابق

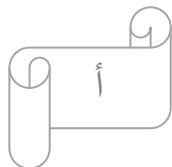




## مقدمة

يتسم المجتمع الزواوي بحركية فعالة، وذلك نتيجة لمجموعة من المؤثرات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية التي جعلته يتميز بعدد من الخصال. فهذا المجتمع القروي الذي يعيش وسط بيئة جبلية وعرة مفروضة عليه، فرض بدوره نظامه الخاص للتكيف معها. وفي هذا السياق، يسترعي الانتباه تميز منطقة زاوية على خلاف معظم الفضاء الريفي المغاربي بكون تادارث (القرية) هي حجر الأساس في بناءها الاجتماعي، إذ تتمتع باستقلاليتها القانونية، وتتولى التسيير الذاتي لشؤونها.

وفي إطار هذه المنظومة، يعد التضامن قيمة إنسانية محورية إلى درجة أن صارت أشكال التعاون واجبا مكرسا في القوانين العرفية، بحيث نقلتها من دائرة الأخلاق إلى دائرة القانون، وجعلتها واجبا عينيا بمقتضى القوانين العرفية، كما فعلتها على أرض الواقع عبر آليات مبتكرة أضحت مظهرا مميزا للمجتمع الزواوي. ونتيجة لذلك، فقد زالت العديد من المظاهر المعبرة عن الطبقة الاجتماعية كـ "اللباس، والغذاء، الخ..."، كما انخفضت نسبة الفقر بحيث كان السائل لا يرد طلبه... بل أكثر من ذلك نجد أن بدء جني الثمار كالزيتون والتين وغيرها من المحاصيل الزراعية تضبط تواريخه من طرف الجماعة، وذلك حتى لا يستأثر البعض بأكل الثمار دون البعض الآخر. ونظرا للفقر المدقع الذي شاهده المنطقة فإن الذبح قصد استهلاك اللحم صار أيضا من المسائل التي تسهر على تنظيمها الجماعة، وهو ما تجسد فيما يدعى باللسان المحلي "ثيمشروط أو لوزيعة" (الذبح الجماعي). وهناك مظاهر أخرى عديدة للتضامن على غرار "تأمعيونت"، و"تويزة" (التطوع)، الخ... وتهدف

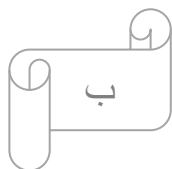


## مقدمة

جميعا إلى تقاسم أعباء الحياة، وتكريس التكافل لإنجاز بعض الأشغال المتنوعة (من حرث، بذر، حصاد، بناء البيوت والمساجد وفتح الطرقات..) وعلى الجملة، فقد أضحت التضامن قاعدة اجتماعية يحترمها ويستفيد منها الجميع كما يشاركون فيها بكل فرح وسرور لما لها من قيمة أخلاقية.

إضافة إلى ما سبق، نجد قيمة أخلاقية أخرى يطلق عليها "العناية" (الحماية) شكلت بدورها إحدى ركائز تنظيم المجتمع الزواوي وضمان استقراره. وهي عبارة عن حماية يقدمها فرد أو قرية أو عرش لفرد أو جماعة بغرض التنقل في حيز جغرافي بكل أمان ويستفيد منها حتى مرتكب الجريمة في حالات استثنائية. وهناك نوع آخر من التعاون الذي يخص الأفراد يسمى "أمدول" (التعاقد) ومعناه أن يتناوب شخصان في عمل معين، فقد استفاد منه حتى ضيوف القرية، فبمجرد دخول أجنبي إليها يتفانى أهلها في توفير أسباب الراحة له، لأن حسن الضيافة معروف عند الزواويين.

وعلى ضوء ما سبق قد يفهم أن المجتمع الزواوي كان خاليا من الصراعات، غير أن الواقع -خلافا لذلك- فقد كان يعج بالنزاعات الفردية والصدمات الجماعية التي ما فتئت تأججها أسباب بنيوية مختلفة، في مقدمتها "ذهنية الثأر" و"ظاهرة الصفوف". فبخصوص العامل الأول فقد كانت "ذهنية الثأر" راسخة في المجتمع الزواوي إذ أي جريمة قتل ولو غير عمدية تعتبر بمثابة دين لصاحبها، فلا يسلم منها لا هو ولا أهله، ولا مجال للرجوع فيها لأنها تعتبر من شرف الفرد الزواوي. حيث لا يقبل فيها بالدية التي يُنظر إليها كفعل مشين يتم بموجبها مقايضة رخيصة للنفس البشرية بالمال. ومن العوامل التي كانت تزيد هذه الذهنية تعقيدا وتعطيها أبعادا أكثر خطورة "ظاهرة الصفوف"، هذه الأخيرة التي بموجبها كان يتم تقسيم القرية أو العرش بل وحتى البيت الواحد إلى قسمين الأول منهما يدعى "صف



## مقدمة

أوفلا" (الصف الأعلى) والثاني "صف وادا" (الصف الأدنى) وهذا التقسيم يحدث لأتفه الأسباب ورغم ذلك إلا أنه يجلب صراعات جد خطيرة للمجتمع لدرجة أنها تصل إلى حروب لا نهاية لها.

فهكذا صراعات كانت تمثل حالة نشاز في المنظومة الاجتماعية الزواوية، إذ تقع على طرفي نقيض من روح التضامن التي كانت تمثل لحمة المجتمع وسداه، ويكفي أنها كانت تمزق شبكة علاقاته المجتمعية وتُسبب اضطرابات خطيرة في بنيته... وهو ما استوقفنا مليا وشدّ انتباهنا بقوة وأغرانا بخوض مغامرة استكناه حقيقة هذه الظاهرة. ومما زاد في عزمنا وقوى إرادتنا تشجيع الأستاذ المشرف "سعداوي مصطفى" لنا على ذلك، هذا علاوة على كون هذا الموضوع -على الأقل في حدود اطلاعنا المتواضع- لا يزال ميدانا بكرا لم ترتده بعد دوريات الاستكشاف العلمي.

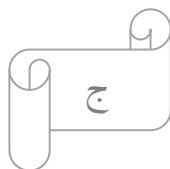
ومنه فقد تمحورت إشكالية هذا العمل البحثي حول فهم تلك المحايثة المربكة والمجاورة الغريبة في ذات البيئة الاجتماعية بين ظاهرتين متناقضتين: من جهة ظاهرة التضامن والتلاحم بين مكونات المجتمع الزواوي التي كانت تمدّه بأسباب القوة وشروط الاستمرار ومن جهة أخرى ظاهرة الصراعات كذهنية الثأر ونزاعات الصفوف التي ما برحت تنخره من الداخل؟

ولحلحلة هكذا إشكالية، لم يكن بد من تفكيكها إلى جملة من الاستفهامات الفرعية

التالية:

- ما هي خصوصيات سكان منطقة الزواوة ؟

- كيف كان سكان الزواوة ينظمون حياتهم في ظل انعزالهم عن السلطة المركزية ووفق ماذا؟



## مقدمة

- ما هي مظاهر التضامن والتماسك التي عرفها المجتمع الزواوية؟

- ما هي الخلفيات في وقوع ذهنية الثأر؟

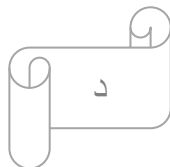
- كيف برزت ظاهرة الصفوف؟

وللإجابة على هكذا أسئلة اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع وحاولنا أن نجمع أكبر عدد ممكن منها لبناء الموضوع و التعرف على قدر أوسع حول الحياة في المنطقة، أهمها هانوتو ولوتورنو في كتابهم "منطقة القبائل والأعراف القبائلية" بأجزائه الثلاث الذي ساعدنا كثيرا إنجاز عملنا هذا. رغم أن هذا المصدر من المصادر التي كثر التعليق عليها حول محتواها إلا أنه غني جدا بالمعلومات ولم يصل أي مصدر للحديث عن منطقة ما بالشكل الذي تطرق إليه هذا المصدر فنجده يتحدث الحياة في منطقة الزواوة جغرافيا، اقتصاديا، سياسيا ودينيا. كذلك الحياة الاجتماعية وخصائصها، فهو يعطي لنا نظرة على السكان، بالإضافة لهذا فهو مصدر مهم لمعرفة نظام الجماعة في المنطقة ودوره.

- هانريش فون مالتسان "ثلاث سنوات في شمال إفريقيا" والذي يتكون من ثلاث أجزاء، اعتمدت في الغالب على الجزء الثاني الذي يتحدث عن منطقة زواوة، وهو مصدر مهم جدا للتعرف على المنطقة وعلى ظاهرة الصف.

- أبو يعلى الزواوي تاريخ الزواوة وهو كتاب وضع للدفاع عن الزواويين - القبائليين - والنظر في أصلهم وطباعهم كما يسرد محامد وخصائص السكان في المنطقة التي شهدها هو بنفسه أو تلك التي رواها له والده.

واعتمدنا كثيرا على الكتب باللغة الأجنبية منها: شارل دوفو في كتابه المعنون ب **les kabailes du djerdjera** الذي كان جنرالا في الجيش، وهذه المكانة جعلته



## مقدمة

يوظف الكثير من الوثائق والأرشيف، وبالتالي فهو مهم جدا للباحث عن منطقة القبائل، إذ تطرق بالتفصيل إلى القرى والعروش، ومواردها وخصائصها.

- دumas وفابر في كتابهم **la grande kabylie** و **jules liorel** في كتابه **kabylie du jurjura**

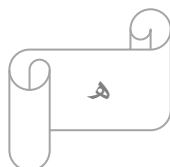
وللبحث في هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي، الذي يتخلله الوصفي الذي ساعدنا في وصف بعض الأحداث التاريخية.

ولقد ارتأينا إلى تقسيم البحث إلى فصلين مهدنا لهما بفصل تمهيدي، وقد جاءت هذه الوحدات على النحو التالي:

**مقدمة:** أوضحنا فيها الإشكالية المراد دراستها على النحو المذكور.

**الفصل التمهيدي:** الذي هو عبارة عن مدخل يساعد على استيعاب الموضوع المدروس، فخصصناه للتعريف ببلاد زواوة من حيث الخصائص الطبيعية والاجتماعية التي جعلتها تمتد عبر عصور تاريخية طويلة. استعرضنا فيه التركيبة الاجتماعية لبلاد زواوة والقيم العرفية وآلياتها التي تجسد روح التضامن "ثيمشرط"، "تويزة"، "لعاينة"، "التعاقد"، "الحرب".

- **الفصل الأول:** الذي خصصناه "لذهنية الثأر" وقسمناه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول الذي تناولنا فيه مفهوم "الثأر" لغة واصطلاحا، والأهمية الاجتماعية له، أما المبحث الثاني فقد قدمنا نظرة حول العوامل والأفعال المساعدة على انتشار الظاهرة. وفيما يخص المبحث الثالث فيتناول الإجراءات التنفيذية لعملية الثأر، وبعض من نماذج التاريخة من أرض الواقع.



## مقدمة

ويتناول المبحث الرابع العلاجات الاجتماعية للظاهرة، سواء من علاجات استباقية وحتى تلك العلاجات البعديّة، والخرافية منها، والاستثناءات لهذه الذهنية.

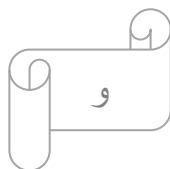
- **الفصل الثاني:** الذي استهلناه لظاهرة الصوف حيث قسمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث، المبحث الأول خصصناه لتعريف "ظاهرة الصوف" لغة واصطلاحاً ومفهوم عام لهذه الظاهرة في بلاد زاوية، أما المبحث الثاني استظهرنا فيه أسباب ظهور هذه الظاهرة وبعض الروايات التاريخية وكذلك النظرية الانقسامية أما المبحث الثالث تناولنا فيه كيفية تشكل الصوف وطريقة انضمام الأفراد إليها وكذلك سيرورة الصوف وبعض مميزاتهما أما المبحث الرابع أوردنا فيه الفئات المؤثرة داخل هذه الصوف من بينهم المرأة والمرابطين وكذلك الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة.

**خاتمة:** فهي عبارة عن النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، كذلك وبعض الاستنتاجات التي حاولنا من خلالها أن نجيب على بعض التساؤلات التي طرحناها سابقاً.

أما **الصعوبات** فهي من طبيعة البحث العلمي، وهي ذات نكهة خاصة لا يعرفها إلا من خاض غمار البحث، وقد قيل إن السعادة تخرج من رحم المشتاق. لكن لا يوجد بحث يخلو من الصعوبات ومن أهم تلك التي واجهتنا:

- قلة المصادر التاريخية التي تناولت منطقة القبائل في الفترة الحديثة. إلا تلك المصادر الأجنبية.

- أما المراجع التي تناولت الموضوع ففي غالبها قد أخذت فكرتين أو ثلاث عن نفس المصادر، مما جعل الموضوع غير ثري بالمعلومات.

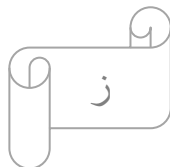


## مقدمة

---

- صعوبة التنقل، وغلق المكتبات الجامعية نتيجة الحراك والإضرابات.
- الوقوع بكثرة في فخ المصادر الأجنبية التي تخطط الجيد بالسيئ، فأحيانا يتحدث رحالة ما عن سكان المنطقة على أنهم جيّدون طباعا وأخلاقا، ثم يبدأ بسرد دلائل على سوءهم، مما يجعل القارئ يتوقف أكثر من مرة للتفكير أي الفكرتين سيأخذ، وماذا يرمي المؤلف من كلامه هذا.

"والله ولي التوفيق"



## خطة الفصل التمهيدي

### لمحة عن بلاد زاووة

المبحث الأول : لمحة عن بلاد زاووة:

المبحث الثاني: البنية الاجتماعية في منطقة زاووة

المبحث الثالث: مظاهر التعاون والتلاحم في منطقة زاووة



## 1- التعريف ببلاد زاووة:

تمتد منطقة الزاوة\* من وادي يسر غربا، إلى وادي أغريون، وجبال البابور\* شرقا ومن البحر المتوسط شمالا إلى سلسلة جبال البيبان\* وهضاب سطيف وسهول مجانة جنوبا<sup>1</sup>.

وقد اختلف المؤرخون حول موقع بلاد زاووة وعلى العموم فإن الحدود التي وقف عندها معظم المهتمين بموضوع المنطقة تمتد من دلس غربا إلى بجاية شرقا، فهي تتكون

\* ملحق رقم 1: خريطة زاووة.

\* البابور: تمتد من ملتقى وادي بسلام والصومام غربا من الجنوب الشرقي من بجاية شرقا، يتراوح ارتفاعها ما بين 1000م و1300م، انظر: محند أكلي آيت سوكي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10-13هـ/16-19م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص 18.

\* البيبان: هي مجموعة من الجبال التي تحد المنطقة من الجنوب وتربط بين جبال جرجرة غربا بجبال الحزن والبابور شرقا، انظر: يحي بوعزيز، دائرة الجعافرة، تاريخ وحضارة وجهاد، د ط، دار البصائر لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص، 25.

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، د ط، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص20.

من كتلتين جبليتين أساسيتين يبدأ علوهما من 1500م إلى 2803م وهما كتلة جبال جرجرة\* جنوبا، وحوض سيباو\* شمالا، فيشكلان ما يعرف بالقبائل الكبرى<sup>1</sup>.

فابن خلدون يحصرها ما بين دلس إلى بجاية<sup>2</sup>، أما مارمول كرخال في كتابه إفريقيا: هذا الإقليم يحده من الغرب إقليم الجزائر أين مدينة تنس ومن الشرق إقليم إفريقيا جهة القل، ويحده من الشمال البحر المتوسط وتحده من الجنوب نوميديا<sup>3</sup>، إضافة إلى أبو يعلى الزواوي الذي يقول عن هذه البلاد: "...زاووة كثيرة مشهورة ومواطنهم ومساكنهم بشمال إفريقيا يجعلهم البحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم وإلى جبل نصف دائرة، فهؤلاء هم المعرفين والمشهرين بالزاووة"<sup>4</sup>.

أطلق على المنطقة عدة تسميات فيرى وليام شالر أن التسمية تنطبق على الذين يعيشون في الجبال، ففي الأطلس الكبير مختلف السلاسل التي تتفرع عنه والتي تحمل أسماء عربية مثل بني سنوس وبني زروال وبني زاووة وبني عباس، سكان كل منطقة من

\* جبال جرجرة : هي جبال زاووة و هي جبال القبائل الكبرى تقع غرب بجاية. أنظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص 102.

\* حوض سيباو: يقع في الجهة الغربية للمنطقة ينبع من جبال التيطري وتمتد على طول 230 كلم، يشكل حدا طبيعيا للمنطقة من الجهة الغربية، انظر: يحي بوعزيز، دائرة الجعافرة، تاريخ وحضارة وجهاد، المرجع السابق، ص 21.  
<sup>1</sup> زيد بن قاسمي، قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي)، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ص ص 23-24.

<sup>2</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المجلد6، مر: سهيل زكور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 168.  
<sup>3</sup> مارمول كرخال، إفريقيا، د ط، ج2، تر: أحمد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1988، ص ص 375-376.

<sup>4</sup> أبو يعلى الزواوي، تاريخ زاووة، ط1، مر وتغ: سهيل الخالدي، منشور وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 90.

هذه المناطق الجبلية يشكلون دولة مستقلة عن غيرها من المناطق<sup>1</sup>، ففي الجزائر تعرف بالقبائل، جمع قبيلة. وتسمى لغتهم المحلية بالقبائلية<sup>2</sup> ويشير أبو يعلى الزواوي إلى ذلك بقوله: "إنما سموا بزواوة لكثرة جموعهم" إذ أن معنى زواوة بلغتهم جمع الشيء فهم "زاو"، "وأزوي" تعني جاءَ معه غيره وهي إشارة إلى اتحادهم وتحالفهم أمام الأخطار، أما صاحب كتاب "مفاخر البربر" فيؤكد أن اسم زواوة Zouwawa هو تصحيح للاسم البربري "قواوا" أو "زواوا" نسبة لأحد أبناء يحيى بن تمزيت بن ضريس ويدعى "زواوا" ومنه أخذت هذه القبيلة تسميتها وهي من البتر<sup>3</sup>.

تختلف حياة الريف عن المدينة حيث يعيش سكان الريف بحرية كبيرة<sup>4</sup> ويتمتعون باستقلالية<sup>5</sup> يشكلون نمط خاص وهم ينقسمون إلى قبائل أو عشائر<sup>6</sup> حيث أن هذا النمط لم يطرأ عليه أي عامل خارجي يعكر جو المجتمع القبلي الذي التمس نوع من الاستقرار السياسي والاجتماعي والثقافي الذي فرز قواعده الخاصة المبينة على قيم الشرف "nnif" والرجولة "tirrugza" والمعرفة "tamusni" فسلم القيم فيه ثلاث درجات:

- تموسني "المعرفة والحكمة".

<sup>1</sup> وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعل وتعر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 113.

<sup>2</sup> الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ط 4، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 72.

<sup>3</sup> مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ - 9هـ / 12م - 15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، دت، ص ص 50-51.

<sup>4</sup> جون هابنسترايت، رحلة العالم الألماني جون هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، د ط، تر وتيق وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص 32.

<sup>5</sup> فريد بونوار، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830م، د ط، وزارة الثقافة، دار الواحة، الجزائر، 2009م، ص 205.

<sup>6</sup> جون هابنسترايت، المصدر السابق، ص 32.

- ثرؤفزة "الرجولة والشجاعة".

- لوقام "الاستقامة وتطبيق قواعد المجتمع القبلي"<sup>1</sup>.

هناك عدة روابط اجتماعية حققت الانسجام والوفاق نتجت عنها العادات والتقاليد، التي تشكلت من خلال الاحتكاك اليومي بالبيئة الطبيعية والاجتماعية التي تحولت تدريجياً إلى أعراف أخذت تشكل ملامح المجتمع المنظم الذي تتحدد فيه الواجبات على الخصوص من الأسرة إلى العائلة الواسعة (القرية والعشيرة والقبيلة). وكانت الأعراف أحد الأركان الأساسية التي سببني عليها المجتمع وتتشأ عنها النظم الاجتماعية وعلى هذا الأساس نستعرض الهرم الاجتماعي لمنطقة زاووة<sup>2</sup>.

## 2- البنية الاجتماعية في منطقة زاووة

### العائلة:

هي أصغر وحدة اجتماعية تكوّن منها المجتمع الزواوي وتعتبر نموذج للتماسك والأمن والاستقرار<sup>3</sup> وتعتبر الخلية الحية التي تساهم في تكوين المجتمع الزواوي<sup>4</sup> والعائلة الممتدة في المجتمع القبائلي هي كغيرها من العائلات الممتدة في المجتمعات العربية الأبوية، تتكون الأسرة القبائلية عادة من الأب والأم والأبناء والأعمام والأخوال (وتسمى

<sup>1</sup> بوجمعة ايزيري، مجتمع منطقة القبائل في القرن 18م عبر شعر يوسف أوقاسي، الملتقى الوطني حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، تيارت 13-14 أكتوبر، 2002، ص 209.

<sup>2</sup> عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 10-2008م، ص 167.

<sup>3</sup> مالية حمدان، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر، 2009-2010م، ص 52.

<sup>4</sup> محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 45.

في هذه الحالة بالعائلة الكبيرة أو الممتدة) ومن خصائص أفرادهم أنهم يعيشون على شكل جماعات متضامن ومتحدة مع بعضها البعض، توحدهم العادات<sup>1</sup>.

- **ثخروبث:** سميت "ثخروبث" تشبيهاً بشجرة الخروب "Caroubier" التي لها جذع واحد هو الجد المؤسس، أما فروعها الكثيفة فهي بمثابة العائلات المنحدرة من الجذع الرئيسي. وهي التي تأتي بعد العائلة في البنية الاجتماعية هي تحمل عموماً نفس الاسم العائلي في غالب الأحيان اسم الجد المؤسس<sup>2</sup>. الذي يشرف على كل أمور الخروبة مثل حفظ النظام وحل المشاكل العائلية وحل القضايا الخاصة، كما يرجع له أمر الزواج والطلاق كما يقوم بإكرام الزائرين والضيوف باسم الخروبة إذ يسير الأمور الفلاحية ويوزع مهامها. ومن هنا نستخلص أن مجموع العائلات يشكل الخروبة، ومجموع الخروبات تشكل القرية<sup>3</sup> وما هو أساسي في "ثخروبث" ويلفت الانتباه، هو أن العائلات كلها تحاول الظهور أمام الآخرين في أحسن وجه، أي تعمل بكل ما بوسعها لإخفاء النزاعات والخصومات التي تكون في جوف العائلات لتبين تماسكها أمام الآخرين حتى وإن كانت الكراهية تدب في أوساطها ولا تسمح بخروج أسرارها حيث تتميز بالتماسك والتعاون سواء في الأفراح أو الأقرح وذلك من أجل سمعة "ثخروبث"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، د ط، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 165.

<sup>2</sup> مالية حمداني، المرجع السابق، ص 51.

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص 107.

<sup>4</sup> منيرة آيت صديق، المرأة الريفية وفعاليتها في توظيف المقدس السحري دراسة أنثروبولوجيا لمنطقة تيزي وزو، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الانثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2001/2000م، ص 42.

-أذروم: "Adhroum" يتكون من مجموعة "خربا"<sup>1</sup> و تجمعهم علاقات وروابط التقارب وكل أفراد "أذروم" يجمعهم تاريخ واحد، ولهم عادات وأعراف، يشكل عن طرق تجمع وتفاعل مجموعة "تخربا" لتكون بذلك وحدة اجتماعية تعبر على وجود كتلة رمزية مميزة متفاعلة لكن ليس كل تجمع يؤدي إلى تشكيل "أذروم"<sup>2</sup>، بل هناك مقياس اجتماعي وتقليدي محدد، صنف ونسب التشكيلات المكونة له، أي يرمز إلى علاقات تاريخية وعرفية لمجموعة من الوحدات "تخربا" التي تدخل في نظام يجمع فيما بينهما في إطار<sup>3</sup>.

إن حدود "أذروم" تتسع لتشمل كل الوحدات والتشكيلات القروية التي تنتسب إلى صف واحد<sup>4</sup>. فحسب الدراسات الفرنسية حول منطقة القبائل بما فيها دراسة "إميل مسكراي"، فإن "أذروم" في هذه المنطقة عبارة عن وحدة سياسية ودفاعية تشكلت بصورة مفاجئة، يعود بروزها إلى عوامل تاريخية ودفاعية بحتة<sup>5</sup>.

**القرية\*** : عبارة عن مجمع سكني لا تقل الصغيرة عن عشرين داراً والكبيرة فوق المائة، وتطل أبعد البيوت فيها على الحقول، وتتكون من بيوت حجر مبنية من الطين فقد تسكن القرية عشيرتان أو أكثر وتكونان مختلفتان، بحيث لا يوجد أي صلة قرابة بينهما لكن على الرغم من ذلك يعيشان في مجتمع مندمج بحكم القرابة والجوار، وهذا الجوار يتوج

<sup>1</sup> خربا: جمع لكلمة تخروبيث.

<sup>2</sup> منيرة آيت صديق، المرجع السابق، ص ص 52-53.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ- لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، د ط، ج2، تر مخلوف عبد الحميد، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2013 م، ص 21 .

<sup>4</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites chez les populations sédentaires de l'algérie**, Réimpression de l'ouvrage publié En 1886, présentation par Fanny colonna, Edisud, Aix-en-provence, 1983, p131.

<sup>5</sup> IBID P 195.

\* ملحق رقم2: قرية قبائلية.

بالمصاهرة مع مرور الوقت فينصهرون مع بعضهم البعض ويشكلون قرابة واحدة تربطهم مصالح ومنافع مشتركة ومختلفة<sup>1</sup> فالقرية تلعب دور رئيسا في نشوء المجتمعات الصغيرة والكبيرة وفي إقامة التحالفات<sup>2</sup> بحيث تربطهم مجموعة من القواعد التي تخص المعيشة وتهدف أساسا إلى ضمان التوازن بين الأسر<sup>3</sup> وأغلبها يبدأ اسمها بلفظ "آث" بمعنى أهل، فنجد مثلا: آث بلقاسم، آث مقران، آث صالح بمعنى أهل بلقاسم، أهل مقران الخ... وهذا اللفظ يكون مشتق من الجد الأعلى للعائلة<sup>4</sup>، وما يثير الانتباه ذلك العدد الضخم من القرى المكتظة بالسكان، المنتصبة على قمم التلال ورؤوس المرتفعات<sup>5</sup>.

وهذا الأمر يأتي بطريقة تلقائية، بل كان بمحض إرادة السكان، إذ جعلهم صعوبة الطقس وقسوة الطبيعة وفقر الأرض، ينتهجون من الجبال ملجأهم للتصدي للظروف الطبيعية القاسية وضرورة استوجبهها دافع الحاجة إلى التضامن والتعاون وهذا ما سوف يظهر في الحياة اليومية مع المناسبات والأعياد في الأفراح والأحزان<sup>6</sup>. ففي القرية يجد الفرد والجماعة معا لحماية المصالح المشتركة وبصون الكرامة وهذا هو الجانب الايجابي منها

<sup>1</sup> عبد الكريم بوعمامة، بنو يعلى لمحات من التراث اليعلاوي عادات والتقاليد، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 04-2006م، ص23.

<sup>2</sup> سعيد بن عبد الله الداودي، حول عروبة البربر مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، ط1، منشورات الفكر، 2012م، ص 256.

<sup>3</sup> عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط2، ج1، المركز الثقافي العربي، 1996م، ص99.

<sup>4</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 108.

<sup>5</sup> Mahé Alain, **Histoire de la kabylie 19-20 siècle Anthropologie Historique du lieu social dans les communautés villageoises**, Ed Bouchéne et éd Edif, 1<sup>er</sup> édition, 2001, p23.

<sup>6</sup> منيرة آيت صديق، المرجع السابق، ص41.

ولكن الانزلاق الأخطر يحدث في حال تحول روح القرية إلى نزعة تعصبية تغذي روح الصراع الذي سوف يضعف النسيج الاجتماعي بأكمله<sup>1</sup>.

### - "ثجماعت":

هيئة "ثجماعت"\* أو ما يسمى "بمجلس الجماعة" التي هي عبارة عن اجتماع عام للمواطنين، حيث يمكن لكل إنسان يبلغ سن الرشد الانخراط فيها، من خلال قيامه بدفع الاشتراكات لفائدة القرية<sup>2</sup> حيث تمثل الساعد الذي يقوم بتسيير كل شيء في القرية، فهي السلطة الوحيدة والعليا صاحبة كل المبادرات التي تصب في مصلحة القرية إذ تلزم كل الأطراف بحدود ومبادئ عامة مستمدة من العرف، تمارس من خلالها سلطتها على السكان من أجل ضمان استقرار حياة المنطقة<sup>3</sup>. وذلك من خلال عقد اجتماعها مرة في الأسبوع ونادرا ما يتم عقده مرة في خمسة أيام، سواء في الساحة العمومية للقرية أو في المكان الذي يوجد به سوق القرية وجلسات "ثجماعت" طويلة جدا في العادة<sup>4</sup>.

فأبسط قضية كانت تشكل مبررا للخوض في خطاب لا نهاية له، يستمع إليه المجتمعون في صبر غير أن بعض الرجال يكتسبون من هذه المناقشات اليومية موهبة خطابية متميزة يوظفونها على النحو الذي يناسب المستمعين، وتتميز لغتهم دائما بالبساطة وبعدم الغلو و الانفعال وكذا بالقدرة على جذب الانتباه وإثارة عواطف الجمهور ويمكن أن

<sup>1</sup> عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع...، المرجع السابق، ص 250-252.

\* ملحق رقم 3: مؤسسة ثجماعت.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ- لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 21 .

<sup>3</sup> كيست بولجنت، العادات والتقاليد في بلاد الزواوة بين القرنين 17 / 19 م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2009-2010 م ، ص 68 .

<sup>4</sup> حسين آث ملويا، القانون العرفي الأمازيغي، د ط، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 42-



تتوقع أن اجتماعا كهذا يتكون من رجال من مختلف الأعمار لا بد وأنه يتميز باللغظ والشغب والفوضى. لكن الأمر ليس كذلك بحث أن كل شيء يسير في ظروف عادية، بهدوء وانضباط<sup>1</sup> حيث تخضع في سلطتها للعائلات الكبرى التي لها تأثير ديني أو عسكري أو حتى مادي، وهذا ما نراه في جماعة العرش مشدالة عندما حكمها الحاج سليمان وذريس إلى غاية وفاته سنة 1854م إذا هي بمثابة مؤسسة قضائية وتشريعية، تشرف على شؤون القرية وحل المسائل التي تعترض مجرى الحياة اليومية كصيانة الطرق وقنوات صرف المياه والمقابر ومياه الري وتوزيع الأراضي الزراعية حيث توجد الملكية الجماعية وفك الخصومات على الحدود "ثليسا" أو من أجل فرض النظام.

كما تقوم بسن القوانين وتحديد الضرائب وإعلان السلم والحرب، وتملي الغرامات على الأضرار والسرقة والضرب<sup>2</sup>، حيث يسدوون لهم النصائح والمشورة<sup>3</sup> فلا أحد يخرج من إطار القرية ولا يمكنه التصرف بما يشاء، بل تفرض على كل مواطنيها أن يلتزموا بعرف وتقاليدها، قد يتعرض أحدهم لارتكاب حماقة أو خطأ يجعله عرضة لحديث الناس، كأن يمتنع عن رد دين مطالب به أو حق من الحقوق عليه لدى الغير أو تعدى حدود اللباقة والأدب، وفي هذه الحالة يرفع أمره إلى الجماعة (ثجماعت)، فإذا رضي بما صدر في حقه، فإنه لا يتعرض لشيء، وإذا ما عصى، يصدر في حقه حكم معنوي قاسي متبوع بحكم مادي ويعلن أمام الملاء بأنه خرج عن طاعة الجماعة ويعتبر بذلك منبوذا مهما هو وأهل بيته، ويتصرف كأنه لم يصدر في حقه شيء ولكن سرعان ما تبدأ نتائج حكم الجماعة في الظهور وذلك من خلال تصرفات أهل القرية اتجاه وأهل بيته. وخير دليل على ذلك إذ طلبت زوجته

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 22.

<sup>2</sup> بسمينة سعودي، النظام العسكري والإداري في مشدالة ما بين 1830/1897م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في

التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2004/2005م، ص 33 .

<sup>3</sup> عبد الكريم بوعلامة، المرجع السابق، ص ص 45-46 .

إعارة إحدى الأشياء ويتصرفن معها وكأنها مصابة بمرض معدي إذ يستمر هذا الوضع إلى أن يشعر نفسه ذليلاً مقهوراً فيطلب الصفح من كبار الجماعة ويقضي ما عليه فيعود الرجل إلى حظيرة الحياة الطبيعية في القرية وتستمر الحياة<sup>1</sup>.

وإن كان هذا هو تعريف الجماعة ، فما هي الأجهزة التي تتكون منها هذه الأخيرة وكيف يتم اختيار ممثليها ؟ و من هم ؟.

يعود اختيار نواب القرية إلى عدة اعتبارات، أولها إلى التقاليد المعمول بها في المنطقة، وعلى رأسها العادات الاجتماعية، المتمثلة في اختيار "أحدذ بوال" بمعنى من يحسن الكلام وأيضاً إلى البالغين لرفع السلاح، إضافة إلى الأشخاص الذين لديهم تأثير في مجتمع القرية.<sup>2</sup>

الأمين: إن كل قرية لها نظام خاص لتنظيم شؤونها والذي يتولى ذلك يعرف بـ "الأمين"<sup>3</sup> هذا الأخير الذي يطلق عليه لدى القبائل اسم أمكسا Ameksa أي الراعي، ولدى البعض الآخر أقرو نْتدَارْت "Aqaru n taddart" أي رئيس القرية.<sup>4</sup>

والأمين يجب أن يكون من أهل القرية ومقيماً فيها ويختار دائماً من بين إحدى العائلات المؤثرة في البلدة ويجب أن يحظى بدعم صف قوي بما يكفي لفرض احترام سلطته، وبأن يكون ثرياً بما فيه الكفاية لكي يكون بمنأى عن إغراءات الفاقة<sup>5</sup>. ومن مهام الأمين نذكر ما يلي :

<sup>1</sup> عبد الكريم بوعمامة ، المرجع السابق، ص ص، 58- 60 .

<sup>2</sup> سعودي يسمينة، المرجع السابق، ص34 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 34 .

<sup>4</sup> حسن آث ملويا، المرجع السابق، ص ص 66-68 .

<sup>5</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 26-27.

- الحفاظ على الأمن ومراقبة المصالح العامة وتلبية حاجياتهم.
- تسيير الشؤون العامة كحضور عقود البيع والشراء أو إيجار العقارات من مساكن وأراضي.
- إعطاء الإشارة لبداية جني الثمار أو البداية للحرث.
- السهر على تطبيق قرارات الجماعة<sup>1</sup>.

**الطامن:** مفرده الطامن ( أو الضامن حسب بعض المصادر ) وهم مساعدو أمين القبيلة<sup>2</sup> في كل تفاصيل مهامه، ومن واجبهم إبداء الطاعة له، وهم مسئولون أمامه في كل ما يحدث في كل خروبة، الجميع يعرف بأنهم يحيطون رئيسهم علما بكل صغيرة وكبيرة وبأن شهادتهم أمام مجلس ثجماث لها قيمة الدليل، شأنهم في ذلك شأن الأمين<sup>3</sup>.

وبالرغم من ضعف دور الطامن قليلا من جراء محدودية سلطتهم المباشرة، فإن ذلك لا يقلل من أهميتهم فبوصفهم أعوانا للأمين ومراقبين وحماة الشق الذي ينتمون إليه، فهم يضطلعون بمختلف التفاصيل التي يتوقف عليها في معظم الأحيان النظام والسلم في مجتمع قروي وفي حالة غياب الطامن، يعوضه مؤقتا أحد أقاربه بتعيين من الأمين وإذا ما تطلب الأمر القيام بتعويض نهائي بسبب وفاة أو عجز أو إهمال أو سوء التسيير<sup>4</sup>.

ومن مهامه:

- جباية الضرائب والغرامات داخل الخروبة.
- فك النزعات المتعلقة بالإرث.
- تلطيف الجو بين الأقارب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كيسة بولجنت، المرجع السابق، ص 70-71.

<sup>2</sup> نفسه، ص 71.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 34.

<sup>4</sup> نفسه، ص 34 .

<sup>5</sup> كيسة بولجنت، المرجع السابق، ص 71-72.

**الوكيل:** وهو المكلف بشؤون المسجد<sup>1</sup> ففي كل قرية يوجد جامع واحد أو أكثر ومن أجل تسيير شؤون المحاسبة المتعلقة بها، تعيين عونا خاصا يسمى "أوكيل" تختاره من غير تمييز من بين عامة الناس ولكن دائما من بين الرجال الأغنياء والمحترمين<sup>2</sup> يتلقى الوكيل موارد الجامع ودفع المصاريف التي يأمر بها مجلس ثجماعث، لا يدخل ضمن صلاحيات الوكيل الاهتمام بتفاصيل التسيير أو استغلال المباني نجد في العديد من القبائل أن القيم المتوفرة تبقى وديعة لدى الوكيل، في انتظار توظيفها، لكن عند أهل إيقاواون<sup>3</sup> igaouaun ، تستعمل هذه الودائع لتحقيق الفائدة وعندما يتم قرصها إلى سكان القرية تكون الفائدة أقل مما عليه إذا ما تعلق الأمر بأجنبي والوكيل مكلف بتوظيفها لكنه ليس مسئولا عنها، ولذلك يتوجب عليه في كل مرة استشارة الأمين وجمع المعلومات بالاتفاق معه حول مصداقية المستدين ومهام وكيل الجامع مهام شرفية ولا يحصل صاحبها على أي راتب من أهم مهامه:

- مهمته الرئيسية في الجماعة ضمان التسيير الحسن لخزانة القرية.
  - تسيير شؤون المحاسبة المتعلقة بالمسجد.
  - دفع المصاريف التي يأمر بها مجلس ثجماعث<sup>3</sup>.
- المرابط أو الإمام:** ويكون الإمام غالبا من المرابطين، يتكفل بالشؤون الدينية والأوقاف<sup>4</sup>. ويطلق عليه في العادة اسم "مرباط القرية" (أمرابض نثارت). وهو يرفع الآذان، يترأس كل

<sup>1</sup> يسمينة سعودي، المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 2، المصدر السابق، ص 35-36.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 36-37 .

<sup>4</sup> يسمينة، المرجع السابق، ص 36.

المناسبات الدينية، سواء داخل الجامع أو في مناسبات الولادة والزواج والدفن كما يقوم بالتعليم الديني الشفوي للأطفال القبائليين، وعندما يكون عدد أبناء مرابطي القرية كافياً يفتح لهم مدرسة في الجامع يعلم فيها قراءة والكتابة ويلقنهم المبادئ الأولى المتعلقة بالقرآن عندما يكون الإمام معلماً في آن واحد، يحظى بامتيازات<sup>1</sup>.

ونستخلص أن الإمام (المرابط) يهتم بالشؤون الدينية، بينما الأمين، الطامن والوكيل يهتمون بالأشياء المتعلقة بسكان القرية، فقد اعتبر البعض أن هذا التنظيم للمجتمع القبائلي، هو تنظيم ديمقراطي ومتساوٍ، وكل فرد وعضو يتدخل في تسيير الشؤون العامة للقرية، وهذا قد استوحته من نظام الجمهورية الفيدرالية الذي عرفته المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي دون أن يكون الحكم مركزياً<sup>2</sup>.

**براح القرية:** ويكون تحت تصرف الأمين، وتتمثل مهامه في الإعلان لسكان القرية بأيام الاجتماعات وأماكنها التي ستقام فيها، وعادة ما يعلن ذلك في الأسواق وعند جولاته بين منازل القرية ليكون الجميع على علم بيوم الاجتماع<sup>3</sup>.

### 3- مظاهر التعاون والتلاحم في منطقة زاووة:

#### ثيمشراط - لوزيعة (الذبح):

تعتبر من أهم الطقوس التي لازالت تمارس في بلاد زاووة وهي تضحية ومشاركة اللحوم التي تسمى \*timechret أو Ouziaa، تمارس مرة واحدة أو أكثر في السنة ففي

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ- لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص ص 37-38.

<sup>2</sup> يسمينة سعودي، المرجع السابق، ص 36.

<sup>3</sup> نفسه، ص 36.

تمارس من أجل افتتاح السنة الزراعية أو إسقاط الأمطار حيث تشترك في لحم الثيران أو الأغنام بعد التضحية، وتقام بالقرب من مقر ثجماعت "بيت الرجال". في الحقيقة كمية اللحوم التي يحملها كل صاحب منزل تحسب في أجزاء تختلف بنسب كبيرة وفقا لحجم المساهمة، قد التزم بتقديم للصندوق الجماعي وعلى مدار السنة في كل من هذه الفرص نفسها وعلى أي حال ما يريد أن يظهره المشاركون في هذا الحفل مثل الصورة التي لا يزال يحملها القبائل اليوم هو نموذج المساواة المثالي بالنسبة لهم. وهذا التقسيم للحوم تحقيق في آن واحد وذات قيمة رمزية كبيرة لتوزيع التضامن بين جميع القرويين في الممارسة الواضحة، في الواقع إعادة فرز الأصوات ومقارنة في أي لحظة حجم اللحم هؤلاء الرجال بدقة ضمان توزيع متساوي وبدقة، إذ يوضع نفس قطع اللحم من أجزاء الحيوانات: الدهون، العظام، اللحم، الذبائح الخ... والجميع يقول رضاه ومن دواعي فخرها أن ترى القرية بالإجماع تحتفل بهذا التقاسم العادل بين الجميع ويضيفون أن القرويون يوفرون للفقراء فرصة استهلاك القليل من اللحم<sup>1</sup> وتقام تحت أشعة الشمس الحارقة أو في المطر<sup>2</sup> فيعتبر التضامن قيمة أساسية في نظام الجماعة (ثجماعت) أما العائلة الراغبة في ذبح رأس ماشيتها لسبب أو لآخر، فإن القانون يلزمها بإشعار أمين القرية، ليقوم بإحصاء المرضى والنساء الحوامل والعجزة، حتى تسلم لهم أسهمهم من اللحم مجانا<sup>3</sup>.

\* ملحق رقم4: صورة حول تيمشريط.

<sup>1</sup> Camille Lacoste dujardin , **Géographie culturelle et géopolitique en kabylie**,in Hérodote, n<sup>o</sup>103, 2001, p 79.

<sup>2</sup> Octave depont et Xavier coppolani, **les confréries religieuses musulmanes**, Alger, 1897, p 242 .

<sup>3</sup> محمد أرزقي فراد، **المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749م-1949م)**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، ص 105.

فالقبايليون فقراء على العموم، فأراضيهم الشحيحة الجبلية خصوصا في الأجزاء العلوية منها، لا تعطي سوى القليل من المحاصيل، غير كافية لتلبية حاجياتهم كان من الضروري تناول اللحم بين الحين والآخر وبما أن الفقير الذي هو في حاجة إليه لا يمكنه الحصول على هذا الامتياز بإمكانياته الخاصة؛ كانت نزعة التعاون التي نجدها عند القبائليين في كل مكان هي من تقوم بمد يد المساعدة له، فما هو ليس ممكنا للفرد المعزول يصبح سهلا عند الجماعة<sup>1</sup>. فنجد مثلا في بني يعلى في المواسم كالمولد النبوي الشريف، أو رأس السنة أو عاشوراء أو ما شابه ذلك يجتمع رجال القرية بزعامة كبارها وعقلائها فيقررون إقامة (لوزيعة) (ثيمشروط) تقوم جماعة من وجهاء القرية بالتسوق لشراء عجل أو عجلين حسب عدد سكان القرية وديارها، ثم يتهيئون لذبح<sup>2</sup>.

تم تحديد يوم النحر وذلك بشكل علني حتى يتمكن الكل من الحضور، وعند حلول هذا اليوم نجد الكل يعمل من رجلا ونساء، شيوخا وكهولا فنجد الرجال يشتغلون في الذبح والسليخ والتقطيع<sup>3</sup> يجتمع سكان القرية كبارا وصغارا تعمرهم الفرحة بهذا الحدث<sup>4</sup> أما الأمين وأعيان القرية فيقومون بمهمة أخرى وهي النزول في مكان معين من أجل إحصاء عدد العائلات، حيث يطلب من كل ضامن تحديد عدد العائلات في الجهة التي يشرف عليها وبعد إنهاء عملية التقطيع يتم توزيعها على أهل القرية كل يأخذ نصيبه من اللحم بالعدل، كما يتم بيع جلود ورؤوس وقوائم الحيوانات المذبوحة فلا يخرج منهم أحد متدمرا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 53.

<sup>2</sup> عبد الكريم بوعمامة، المرجع السابق، ص 56.

<sup>3</sup> محمد أرزقي فراد، أزفون تاريخ وحضارة، ط1، دار الأمة، دم، 2003 م، ص 133.

<sup>4</sup> عبد الكريم بوعمامة، المرجع السابق، ص 56.

<sup>5</sup> محمد أرزقي فراد، أزفون...، المرجع السابق، ص 133.

مساهمات ثيمشروط:

أما بالنسبة لتمويل الذبح (ثيمشروط)، فمصادرها متعددة، منها خزينة القرية وعائداتها المختلفة، والتبرعات التي يقدمها المحسنون في مناسبات عدة، إن بمحض إرادتهم أو بطلب من مجلس القرية، فإذا كانت عينية تباع المواد المتبرع بها، ثم يضاف مبلغها إلى القيمة المالية المتوفرة، ويكلف المجلس جماعة معينة لشراء مواشي أو بقر للنحر، وفي هذه الحالة يوزع اللحم مجاناً على أهل القرية. أما إذا مبلغ التبرعات ومال خزينة القرية أقل من ثمن شراء الأنعام، تتحمل العائلات الفارق، مع إعفاء الأرامل واليتامى والعجزة من الدفع ويتكفل مسؤولو الحارات (الطامن) بجمع هذه المبالغ في أجل مفتوح<sup>1</sup>.

وهناك نوع آخر من النحر (ثيمشروط-لوزيعة) يسمى نحر المساعدة (ثمعيونت) بمعنى "التكافل"، ويقصد بها تلك الحالات الاستثنائية، حينما يتعرض ثور أو بقرة أو نعجة أو معزة لحادث مؤلم يهدد حياتها ولا يرجى شفاؤه، وبالتالي يتوجب ذبحها على عجل، وفي هذه الحالة يتصل مالك الحيوان المصاب بأمين القرية، فيقوم هذا الأخير بذبحه، ثم يبيع لحمه لسكان القرية ويقدم له السكان كل حسب مقدرته والهدف من هذه العملية هو إنقاذ الفلاح من خسارة مؤكدة<sup>2</sup>.

وهناك حالة أخرى حيث يتم الذبح من الجل الدعاء لله سواء لسقوط المطر وباء أصيب به الحيوانات أو الأشجار ويساهم كل واحد بقدر ما يستطيع، بالمال، بالقمح، بالزيت، بالتين المجفف وبالبلوط وتباع هذه المواد لشراء الحيوانات المخصصة لذبح<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص 116.

<sup>2</sup> نفسه، ص 117.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص ص 54-55.



والى جانب تيمشراط المعتادة، يوجد نوع آخر خاص يسمى "تيمشراط قُذْرِيْمُنْ" تيمشراط المال". وهنا يقدم عدد معين من الأفراد إسهامات نقدية فيجمعون هكذا مبلغا كافيا يشترون به حيوانا واحدا فأكثر، ويتقاسمون اللحم بعد ذلك، كل واحد تبعا لمقدار مساهمته<sup>1</sup>.

هنا نستنتج أن القبائلي لا يأكل اللحم إلا نادرا سوى في هذا الطقس الممارس منه من فترة إلى أخرى فهذه الأصول النادرة هي عبارة عن أوصل التضامن والتعاون بين الأفراد، خاصة الأعمال التي تقوم بها المساهمات التي يشارك فيها حتى المهاجرين<sup>2</sup> كما أورد لنا حمدان عثمان خوجة في هذا الصدد أن القبائل لا يأكلون الأغنام ولا الدواجن ولا يذبحونها إلا عندما يأتيهم ضيف<sup>3</sup>.

### -توزيع (التطوع):

يعد التطوع إحدى الآليات الاجتماعية التي تجسد قيم التضامن والتآزر، وهي واردة في القوانين المعرفية الزواوية، تهدف إلى تكريس التكاتف الاجتماعي لإنجاز بعض الأشغال الفلاحية كالحرث والبذر والحصاد وجمع المحاصيل وبعض المشاريع العمرانية، التي يعجز عنها الفرد ماديا وماليا<sup>4</sup>. وتعتبر مساعدة أهل القرية لبعضهم البعض من الأعمال المألوفة التي تتطلب اليد العاملة لانتهاء بسرعة من عمل ذلك اليوم مثل: سقف البيوت، الحصاد، جني الزيتون<sup>5</sup> وفتح الطرقات والمسالك الفلاحية، وجلب الماء إلى القرية، والبناءات العمومية (المساجد/المقام/مدرسة...)، أو لإنجاز بعض الأشغال الخاصة في القرية إلى غير ذلك هذه

<sup>1</sup> نفسه، ص 55.

<sup>2</sup> Salem chaker, **Les kabyle encyclopedie djemaa**, p 24

<sup>3</sup> حمدان عثمان خوجة، المرأة، د ط، تق وتغ وتغ: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، د م ، د ت، ص ص 24-25.

<sup>4</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص 115.

<sup>5</sup> عبد الكريم بوعمامة، المرجع السابق، ص 25-26.

الأعمال التطوعية<sup>1</sup> التي تدعى "التويزة" "ثيويزي" ومنتشرة في قرى بني يعلى وقرى القبائل بصفة عاملة وأثناء هذا الانهماك في العمل تكون الأسرة المعنية قد أعدت طعام الوليمة التي تقام في مثل هذه الأمور وغالبا ما يكون الكسكس واللحم<sup>2</sup>. والحق أن التطوع جاء كحل لتجاوز مشكلة الفقر وضعف الإمكانيات التي يعاني منها القرويون كانت أعمال التطوع مجانية<sup>3</sup>.

أما فيما يخص الطريقة الرحمانية فقد عملت على التوفيق بين الشريعة والعرف، فساهمت في تثبيت وتثمين عدة أعراف منها (تويزة، ثيمشرط أو لوزيعة "تَشْمَلَتْ") وهي من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام من قبل، فاستمالت بذلك كثيرا من الناس إلى صفوفها<sup>4</sup>.

### -لِغْنَايَة (الْحَمَايَة):-

يعد مفهوم "لِغْنَايَة"<sup>5</sup> قيمة أخلاقية، صارت بفعل غياب الدولة، أداة أساسية في تنظيم المجتمع الزواوي، وضمان استقراره وهي عبارة عن حماية يمنحها فرد، أو قرية، أو عرش، لفرد أو جماعة، للتنقل في حيز جغرافي معين بأمان، ولا يستفيد منها المعتدي الذي ارتكب جريمة ما وإذا حدث أن استفاد منها، ترفع الضحية شكواها إلى مجلس قرية المانح لحماية، لتتولى أمر عقابه فان الجماعة (العائلة والقرية والعرش) تصبح وجوبا ملزمة بالدفاع عن

<sup>1</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص 115.

<sup>2</sup> عبد الكريم بوعمامة، المرجع السابق، ص 25-26.

<sup>3</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص 115.

<sup>4</sup> زبدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 198.

<sup>5</sup> لِغْنَايَة: كلمة مأخوذة من كلمة "عنى" بالعربية، ومعناها "إبلاء أهمية كبيرة"، ومن هنا جاء تمديد معنى الكلمة

ليشمل معنى "الحماية". أنظر -هانوتو وأ- لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج 2، ص 62.

لعناية(الحماية) التي يمنحها أحد أفرادها<sup>1</sup> كما تمنح أيضا للشخص المتابع بالثأر، أو المههد بأي خطر آخر وعندما يحوم الخطر على الشخص المحمي ب"لعناية" يتوجب على الحامي أن يرافقه بمعية بعض أفراد عائلته وهو مدججون بالسلاح، وتسمى هذه الحالة (لعناية أوضار دُو ضار/حماية الرجل على الرجل) أي الحماية المقربة وفي الحالة التي تعذر ذلك، يقدم للمستفيد من لعناية، شيئا مما يملكه لاستظهاره عند الضرورة، أثناء التنقل، ويثبت هوية الحامي كالبندقية والسيف والعصا، وقد يكفي الاحتماء باسمه فقط<sup>2</sup>.

هذا وتمارس "لعناية" أيضا في الظروف العادية، عندما يتخاصم شخصين، فيتدخل شخص ثالث للفصل بينهما عارضا لعنايته وفي حالة خرقها يتعرض المتخاصمان إلى عقوبة يفرضها مجلس الجماعة، أما إذا استعمل الحامي القوة لفرض لعنايته عليهما فإنه يصبح محل عقاب أسوة بالمتخاصمين وتسمى لعناية في هذه الحالة حماية سلم<sup>3</sup>.

إن مؤسسة لعناية لها طابع الجلال. فهي شكل أصيل من المساعدة المتبادلة مدفوعة إلى حد التضحية بالنفس وما تقتضيه من أعمال بطولية ترفع من شرف الشعب الزواوي<sup>4</sup>.

ويعتبر ميثاق "لعناية" نوعا آخر من الاحتياط والضمان من الخطر يأتي من خارج المجموعة. وقد كان هذا الميثاق يضع الشخص أو الأسرة تحت حماية رجل قوي أو رئيس

<sup>1</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي ...، المرجع السابق، ص 108.

<sup>2</sup> نفسه، ص 110.

<sup>3</sup> نفسه، ص 110.

<sup>4</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 64.

ديني الذي بإمكانه حماية المسافرين دون خوف حتى وإذا جاز تراب قبيلة معادية ولكن بشرط أن تقر بسلطة الرجل الذي صدرت عنه تلك لعناية<sup>1</sup>.

-**التعاقد:** يعني التعاون في مختلف المجالات دون استثناء، فنجد ما يسمى بـ "أمدول" وهو تعاون يخص الأفراد، ومعناه أن يتعاقد شخصان في خدمة حقولهما بالتناوب، حيث يشمل التعاقد ضيوف القرية، فبمجرد ما يدخل الأجنبي تراب القرية، يتفانى أهلها في توفير أسباب الراحة له، وتشمل رعايته أيضا أبناء السبيل المهددين بخطر ما، أثناء عبورهم تراب القرية، كالعواصف الثلجية والأمطار الغزيرة، وقد يحدث أن يرسل أمين القرية بعض شبابها إلى الفجاج والتلال للتأكد من عدم وجود مسافرين ضلت بهم السبل، وكثيرا ما أنقذوا مسافرين ضالين من خطر الموت<sup>2</sup>.

ويتعين على كل إنسان مسافر يلتقي في الخارج أحد أبناء قريته أو قبيلته يجب أن يساعده قدر المستطاع إن كان مريض أو في حالة صعوبة، ولو كان ذلك على حساب مصالحه، وإذا التقى بغال في طريقه مسافرا يكون بغله قد خر أو أصبح عاجزا عن المشي، فينبغي عليه مشاركته الحمل وتسليم الأمانة التي عهد له بها صاحبها وهذه المساعدة لا تتوقف عند حدود الأشخاص، بل تشمل معظم أنشطة الحياة اليومية. مثل البناء، بحيث أن نساء الخروبة أيضا تشارك في هذا العمل عن طريق جلب الماء الضروري للبناء، كما يكفل رجال القرية بأعمال أخرى مثل جلب القرميد، ونقل الخشب وكذا الحجارة وغيرها من الأعمال<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، د ط، تر: عبد الحليم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 377.

<sup>2</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي..، المرجع السابق، ص 106.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص ص 60-61.

كما هناك بعض الخصال الفريدة نلتبسها لدى المجتمع الزواوي ينفرد بها، فالزواويين يقومون بالترحيب بالضيوف ترحيبا حارا مبالغ فيه، يكون نابع من القلب حيث أن الغريب يكون مرحبا فيه بشكل جيد ويحس أنه في بيته الثاني نتيجة طريقة المعاملة التي يحظى بها من طرف القبائل، أما الشخص الذي هرب إليهم لسبب وجيه ولأسباب جد خاصة يقومون بالاعتناء أكثر من الضيف الذي يمر مجرد مرور عادي<sup>1</sup>.

**الحرب:** كانت الحرب مظهرا من مظاهر الحياة القروية، تتدلع لأبسط الأسباب، ويعود ذلك لغياب سلطة مركزية ويتم هذا الحرب بدافع التضامن مع القرية أو الصف وبالنظر إلى كثرة هذا النوع من الحروب فقد صار مظهرا من مظاهر الحياة اليومية<sup>2</sup>، بحيث يتعين على كل فرد قادر على حمل السلاح الدفاع عن بلده. فالخدمة العسكرية واجب مقدس في عيون الزواويين، وحيث أن المشاركة في الحروب ضد أي عدو أجنبي يتطلب الأمر حمل السلاح بدون استثناء حتى المرابطين، مثلا ضد الأتراك أو حينما تتعرض الاتحادية للهجوم من طرف قبائل الخارج، حين تكون المعركة داخل القرية أو داخل القبيلة أو داخل الاتحادية، لا يكون المرابطين مجبرين على المشاركة فيها<sup>3</sup>.

كانت هذه الحروب تقتضي توقيف الاقتتال المحلي، مع جواز تمويلها بأموال خزائن القرى ومن خصائصها البارزة أيضا ظهور فرق المتطوعين (المسلبون) الذين يؤدون القسم على مصحف القرآن الكريم أمام الملاء، على مواصلة الحرب إلى الاستشهاد، لذلك دأب القرويون على أداء صلاة الجنازة على هؤلاء المتطوعين.

<sup>1</sup> Daumas et Fabar, **la grande kabylie**, librairie de l'université royale de France, paris, 1847, p36.

<sup>2</sup> محمد أرزقي فراد، **المجتمع الزواوي...**، المرجع السابق، ص 117.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 71.

يشارك جميع سكان القرية الذكور البالغين سن الرشد في الحروب المحلية ، دفاعاً عن شرف قريتهم أو قبيلتهم(عرشهم)، فالمحارب يكفل بتسليح نفسه، وفي حالة العجز يتكفل بذلك مجلس القرية، أما إذا اندلعت الحرب بين صفين من قرية واحدة، فلا يجوز في هذه الحالة استعمال مال القرية لأي من الطرفين المتحاربين، وبالنسبة إلى المعارك التي تجري في السهول فهي تعتمد على الفروسية التي تنعدم في الجبال، لذلك تكفل القبيلة بشراء الخيل ولوازمه كما أنها تقوم بتعويض الخيول الهالكة في المعركة إن كانت ملكاً للمحاربين وتلتجئ أحياناً القبيلة إلى شراء ذمم فرسان الطرف الخصم<sup>1</sup>.

وقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة أنه من عادات سكان الزواوة عند قيام حرب فإن المنتصر يقوم بحرق دار المهزوم غير أن تلك الدار يعاد بنائها في أقرب ما يكون لوفرة الأخشاب التي تغطي هذه البلاد<sup>2</sup>.

وتتميز هذه الحروب بمحدودية نتائجها وهي ليست مدمرة، ولا تستهدف التوسع على حساب الخصوم، وتستمر عادة إلى أن يتعادل عدد الضحايا لدى الطرفين<sup>3</sup>.

وللمرأة دور في هذه الحروب الأهلية، تشارك في إعداد الذخيرة والمؤونة وتعمل على رفع معنويات المحاربين بالزغاريد والأشعار، ويحول وجودها في ساحة المعركة دون هروب الرجال منها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد أرزقي فراد ، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص ص 118-119.

<sup>2</sup> حمدان عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 28.

<sup>3</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص 119.

<sup>4</sup> نفسه، ص 120.

### خلاصة الفصل:

منطقة زاووة متميزة بتكوينها الجغرافي وطبيعة تضاريسها، ساهم بشكل فعال في تنوع مختلف الأنشطة فيما خاصة الاجتماعية ويتجلى ذلك في تحديد طبيعة النظم الاجتماعية والسياسية التي استند إليها سكان المنطقة في تسيير مختلف شؤونهم الحياتية، أضفى ذلك ببنية اجتماعية مستمرة في هياكلها ذات الأصل القوي التي نلمسها في جميع قرى زاووة، كما كان لها التنظيم المحكم والجيد والتي توارثها الفرد الزواوي من جيل للجيل في سلسلة من الأعراف التي مارسها الأفراد. كما عرف هذا المجتمع مجموعة من المظاهر التعاونية التي تبرزه مجتمع متعاون ومتماسك لا يترك غيره أثناء الحاجة، فالنظام العام للمجتمع الزواوي له بصمة خاصة في القانون والعادات إذ يعتبر الأمة المسلمة الوحيدة التي تعمل بنظام خاص، لكنه لا يتعارض مع القرآن والسنة، لكنه ناتج من كيانهم وخصوصية مجتمعهم الذي حافظوا عليه لمدة قرون.

فقد يُفهم أن المجتمع المعني كان خاليا من الصراعات، غير أن الواقع-خلافا لذلك- كان يعج بالنزاعات الفردية والصدمات الجماعية التي ما فتئت تُأججها أسباب بنيوية مختلفة، في مقدمتها: "ذهنية الثأر" و"لعبة الصفوف".

## خطة الفصل الأول

### ذهنية الثأر في المجتمع الزواوي

المبحث الأول: ذهنية الثأر: المفهوم والأهمية

المبحث الثاني: العوامل والأفعال المساعدة على انتشار ذهنية الثأر

المبحث الثالث: عملية الثأر: الإجراءات والنماذج

المبحث الرابع: العلاجات الاجتماعية لذهنية الثأر



كانت "ذهنية الثأر"، متأصلة في المجتمع الزواوي، إذ تعتبر من أخطر وأعقد الظواهر الاجتماعية التي عان منها الفرد الزواوي ومن أسوء ما يهدد سلامة وأمن وسكينة المجتمع. إذ تؤدي إلى سفك دماء الكثير، بحيث لم يسلم منها لا كبيرا ولا صغيرا ولا رجلا ولا امرأة، كما ينجم عنه العديد من الحروب والنزاعات القبلية. وعليه سنتناول الحديث عنها في هذا الفصل.

## 1- ذهنية الثأر: المفهوم والأهمية

### 1-1- مفهوم الثأر (ثمقارط)

"الثأر" لغةً هو الطلب بالدم<sup>1</sup>، وقيل: الدم نفسه، ويقال ثأرتُ فلانا بفلان بمعنى قتلت قاتله، وأما قولهم استأثر فلانُ فلانا إذ إستغاثه، بحيث دعاه إلى طلب "الثأر"<sup>2</sup>، ومنه الثائر هو الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره<sup>3</sup>.

أما اصطلاحاً، "الثأر" أو ما يدعى بالقبائلية "ثمقارط" أي "الرقبة" فهو يشير إلى دين الدم الذي تأخذه عائلة المقتول من مقترف جريمة قتل زمن السلم<sup>4</sup>. إذ أن الدم لا يبقى -

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مجلد 1، تح: عبد الله عبد الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، مصر، د ت ، ص 465.

<sup>2</sup> أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، د ط، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ - 1979م، ص ص 397-398.

<sup>3</sup> مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، د ط، د ج، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م، ص 81.

<sup>4</sup> أ\_هانوتو وأ\_لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج 3، ص ص 63-64.

أبدا- بلا ثمن عند القبائليين؛ فإذا قُتل شخص ما، وَجِبَ على أفراد عائلته الانتقام من قاتله. "سيرد إذمن سوايد" "غسل الدم بالدم".

### 1-2- الأهمية الاجتماعية للثأر:

من الجدير بالذكر أن "ثأر" عائلة المقتول من القاتل كان في المجتمع الزواوي "واجبا مقدسا" لا يسقط بالتقادم ولا بفرار الجاني ولا بأي حال من الأحوال. بل إن في حالة تعذر أخذ "الثأر" من الجاني شخصيا لسبب ما، فإن ذلك ينتقل إلى شخص آخر من عائلته؛ الأقرب فالأقرب، بحيث تغدو العداوة متوارثة بين العائلتين وربما اتسعت لتشمل قريتي أو قبيلتي الجاني والمجني عليه الخ...، وقد تتحول إلى حرب لا نهاية لها<sup>1</sup>. بعبارة أخرى، كانت عائلة المقتول تقع تحت نوع من الإكراه الاجتماعي الذي يجبرها على طلب "الثأر" من القاتل، بحيث إذا تخلفت عن القيام بذلك، يلحقها العار مدى الحياة، مما يضطرها في كثير من الأحيان إلى ترك مكان إقامتها. وفي هكذا سياق، لم يكن غريبا أن تُنشأ أرملة المقتول ابنها منذ الصغر على ضرورة "الثأر" لأبيه، فتلقنه مختلف المعلومات المتعلقة بالقاتل (اسمه، سكناه، الخ...)، وعندما يكبر تعطيه سلاحا قاتلة له: "اذهب يا ولدي وخذ ثأر أبيك". أما إذا خلف المقتول بنتا، فإن الأم لا تزوجها إلا ممن يقبل أخذ "الثأر" لأبيها<sup>2</sup>. وبشكل عام، فقد ساعدت هذه الذهنية على ظهور وانتشار ظاهرة القتل المؤجرين الذين يوفرون خدماتهم لطالبيها ممن يفتقدون إلى القدرة لأخذ "الثأر" بأنفسهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Daumas et Fabar, **la grande kabylie**, op.cit, pp 35-36.

<sup>2</sup> Ibid, pp 35-36.

<sup>3</sup> غابرييل كامب، المرجع السابق، ص ص 384-385.

## 2- العوامل والأفعال المساعدة على انتشار ذهنية الثأر:

ساعدت عدة معطيات وظروف على خلق وضع مواتي لظهور وانتشار ذهنية "الثأر" في المجتمع الزواوي، وفيما يلي محاولة تسليط الضوء على أبرز تلك العوامل:

## 2-1- النيف (الشرف)

الأنف يرمز إلى شرف القبائلي، وهو أمر جدّ حساس، وعادة ما يشبهه الكتاب الفرنسيون بحساسية الشرف عند النبيل الأوروبي في القرن السابع عشر. ومن هذا المنطلق، كثيرا ما كان الفرد القبائلي مضطرا إلى تقديم تضحيات جسام، وجعل أسرته عرضة لأسوأ صنوف الحرمان، وذلك كله في سبيل الحفاظ على "النيف" الذي يعد الضامن الأساسي لمكانته واعتباره هو وذويه<sup>1</sup>.

والشرف الذي يجب على المرء حمايته في المقام الأول شرف الأسرة والمقصود به خاصة شرف النساء فهن اللاتي من خلالهن تتناقل الحياة، وشرف الزوجة أو الابنة أو الأخت، إذا تلطخ لم يغسله إلا الدم. وإنزال القتل بالمذنبين لا يلقى استنكارا، بل هو شيء يفرضه الإكراه الاجتماعي. لكن "الأنف" له اقتضاءات أخرى؛ فلا يتحمل الواحد أن يلقى الإهانة من منافس له أو خصم. فسرقه سلة من التين أو إعطاب آلة أو كسر سياج، أفعال تستتبع لا محال ردودا، فإذا كان الضحية لبيبا عرف كيف يسدد رده، وحرص على أن يكسب إلى جانبه حكماء الجماعة، وأما المتهور فقد يتمادى في الرد فتبتدئ حينئذ عملية قد تنتهي بالقتل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> غابرييل، المرجع السابق، ص 383.

<sup>2</sup> نفسه، ص 383.

## 2-2- "نظرية الدم"

تقوم على مبدأ تضامن العائلة، وتصدر من هذا المبدأ نتيجتان:

1- الانتقام يمكن أن يطال أي فرد من أفراد عائلة القاتل، مهما كان.

2- كل أقارب الميت معنيون بتنفيذ "تمقارط"، وكل واحد يمكن أن ينادي به للقيام بالعمل الدموي<sup>1</sup>.

ومما أوجد مناخا موائما لنمو وازدهار هذه النظرية صرامة العادات القبائلية تقضي بأن كل فعل طائش يقوم به شخص يؤدي إلى موت فرد من الأفراد ينتج الرقبة. بحيث لا يهم أن تكون الضحية قد قضت نتيجة قلة الحذر أو سوء الاستعمال، أو أن تكون هلكت وسط لهب النيران، أو حتى أن تكون قد أصيبت أثناء اقتراف جريمة<sup>2</sup>.

## 2-3- الأفعال المولدة للثأر:

من نافلة القول أن من أهم العوامل المساعدة على انتشار ظاهرة "الثأر" تلك الأفعال التي كان المجتمع الزواوي يُجرمها ويجعلها سببا وجيها لقيام كل من تُرتكب في حقه "بالثأر" من مرتكبها. وهذه الأفعال عديدة ومتنوعة، وفيما يلي استعراض لبعضها:

- القتل الابتدائي، وهو الفعل الذي ينتج عنه "دين الدم" أو ما يسمى -في اللسان الزواوي- "أرطال"<sup>\*</sup>، وهو لا يتم الوفاء به إلا بقتل القاتل أو أحد أقاربه.

<sup>1</sup> أ- هانوتو وأ-لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص 64.

<sup>2</sup> نفسه، ص 64.

\* كلمة قبائلية تعني القرض .

- قتل العدو في بعض الحالات التي يكون فيها محميا: كقتله على سبيل المثال قبل الإعلان القانوني عن الأعمال العدائية أو أثناء هدنة أو بعد عقد السلم أو على أرض محايدة. ومن الأمثلة على ذلك أن سكان إفليسان البحر وآث جناد والقبائل الأخرى المجاورة للبحر، والتي لا تحارب إلا أثناء النهار، فإن العدو الذي يقتل أثناء الليل يخلف دين الدم لعائلته<sup>1</sup>.

- قتل مرابطي أو أجنبي أو قبائلي غير قادر على الإضرار (أمستمن) هو دائما سبب موجب للرقبة، وذلك حتى لو كانت الضحية قد أصيبت بطلقة خاطئة.

- والقبائلي الذي يقتل فقط احتراما لعنايته، أي لواجب مقدس، يعرض عائلته لصرامة دين الدم.

- الطفل القاصر والأبله والمجنون ذاتهم ينتجون دين الرقبة إذا ما قتلوا.

- تسبب حيوان معيب أو شرس ولو من باب الخطأ في موت إنسان، يجعل مالكة مبدئيا مسؤولا بشكل مباشر عن الوفاة، وتحمل عائلته التبعات الدموية المترتبة عن ذلك.

- عمل القتل الذي تقوم به امرأة، حتى ولو كان غير إرادي، يتضمن الرقبة، إما ضد رجال عائلتها إن كان الضحية ذكرا، أو ضد نساءها، إن كانت الضحية أنثى<sup>2</sup>.

- في حالة تضحية المرأة بابنها ضد إرادة الرجل، تكون الرقبة لهذا الأخير ولعائلته على حساب عائلة المرأة، وتطال الرجل أو المرأة تبعا لجنس الطفل القتيل. غير أن خروبة المرأة يمكن أن تقلت من أية مسؤولية إذا ما عرضت المذبذبة على انتقام الرجل أو قامت بنفسها

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ- لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص ص 66-67.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 66-67.

بإحراقها. أما إذا كان قتل الابن قد تم بموافقة الزوج، فإن ثجماعت تسلط عليه غرامة، لكن ليس هناك حق الرقبة. ومن الجدير بالذكر أن الإجهاض يعامل معاملة قتل الابن.

- التسبب في خصي رجل يؤدي بدوره إلى دين الرقبة، شأنه في ذلك شأن القتل<sup>1</sup>.

### 3- عملية الثأر: الإجراءات والنماذج

يرافق عملية "الثأر" عدة إجراءات التي من شأنها التحكم والنجاح في العملية. وعليه سوف نتطرق إليها وبعض من نماذجها التاريخية.

#### 3-1- الإجراءات التنفيذية لعملية الثأر

بعد أن يوارى الثرى المغدور به، وبعد إتمام جميع مراسيم الدفن والعزاء، يكون هم عائلة الوحيد التفكير في كيفية الانتقام له. حيث يعين كبير العائلة أو رئيس الخروبة الضحية التي يُنتقم منها<sup>2</sup>.

بيد أن عملية تعيين الضحية ليست بالأمر السهل، إذ تخضع لجملة من الشروط. من تلك الشروط أن يكون كل من المقتول والضحية من نفس الوزن في ميزان الرقبة<sup>3</sup>. لأن سكان بلاد الزواوة يرون أنه ليس من العدل أن يقتل شخص له درجة مرموقة ومهمة في المجتمع، وتنفذ الرقبة على شخص ليس بنفس الدرجة التي يحملها المغدور به، فهذا الأمر لا يشفي غليل عائلته. ولذلك نلاحظ أنه ليس بالأمر السهل اختيار الضحية<sup>4</sup> فكان يراعى في "الثأر" أو الدية مكانة القاتل والقَتيل، في قبيلته ومكانة هذه القبيلة بين القبائل، وكذلك

<sup>1</sup> أ- هانوتو وألوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص ص 66-67.

<sup>2</sup> نفسه، ص 67 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 67 .

<sup>4</sup>Jules Liorel, **Kabylie du jurjura**, Ernest leroux, éditeur, paris, 1892, p 440.

الظروف التي أحاطت بارتكاب الجريمة والصلات الاجتماعية بينها، فعلى سبيل المثال رفض يعلي اليفرني "الثأر" لأبيه برجل واحد من قبيلة القاتل بنوي بكار من يفرن بما يتناسب وشخصية القتيل<sup>1</sup>. "الثأر" الزواوي يقوم على التعادل في القتل. سواء من ناحية العدد أو حتى التركيبية الاجتماعية وإلى غيرها من الصفات التي يحمها المقتول.

فبعد تعيين الضحية وكل الشروط الأنفة ذكرها، يأتي تعيين الشخص المكلف بتنفيذ المهمة، بحيث يجب أن يكون الأكثر جسارة، الأكثر عزيمة، والأكثر خفة في التنفيذ، لكن يمكن لغير المعين للقيام ب"الثأر" من بقية أفراد عائلة المقتول اغتنام أي فرصة سانحة لإلحاق الضرر بالعدو<sup>2</sup>.

وليس هذا فحسب، إذ تشمل عملية التعيين والاختيار حتى الأدوات التي ستستعمل في عملية "الثأر". وهنا يقع الاختيار -عادة- على تلك الأدوات التي تؤدي إلى الموت المحقق من الضربة الأولى. من أجل الوصول إلى هكذا غاية منشودة، يمكن استعمال كل الوسائل المفضية إلى القتل على غرار: السم، الضرب في أي جزء من الجسم، سواء بالرصاص أو بالسيف أو بقضيب حديدي، الخ...

وعلى رغم القساوة في الحكم على مرتكب الجريمة، والبغضاء والكره الذي تكنه عائلة المفقود للجاني إلا أن العرف الزواوي نلمس فيه نوع من الرحمة إن صح التعبير، ليس فيما يخص تغاضي النظر عن الجريمة -لكن- في تنفيذها بحيث العرف يرفض ضرب الضحية إذا كان برفقة امرأة، حتى ولو كانت قريبة من أقاربه. فرغم ذلك فالعرف الزواوي صارم فيما

<sup>1</sup> عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9م-10م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر، د ت، ص 296.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص 67.

يخص بـ"ثمقراط" فلا رجوع إلى الوراء في ذلك، والمكلف بتنفيذها لا يتخاذل عن التطبيق، فإن سولت له نفسه وخرق لعناية قرية، تسقط عليه العقوبة<sup>1</sup>.

كيفية تنفيذ المهمة: ليس بالأمر السهل القيام بمثل هذا الفعل الذي لا يتماشى مع الشريعة الإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى صعب لأنه يستهدف نفس بشرية بطريقة لا رحمة فيها، لذلك نجد المنتقم يحاول دائماً أن يفاجئ ضحيته منفردة وفي الخلاء لينال مراده<sup>2</sup>.

ولهذا الغرض يستعمل الكمين وسهر الليل، ولا يهم الثمن الذي سوف يضحى به للنيل من فريسته حتى ولو كان هذا المصطلح -الفريسة- ليس في محله لكن ما يحدث من بشاعة الأحداث يجعلنا نستعمل هذا اللفظ. وبدوره القبائلي المطارد يتخذ كل الإجراءات اللازمة لحماية نفسه، منذ علمه أنه هو المطالب للانتقام المعلن<sup>3</sup> فلا شيء يهبط من عزيمة صاحب "الثأر" فإذا مات يحل محله أحد أقاربه، وإذا ما مات الضحية إثر مرض أو حادث آخر، يتم تعيين ضحية أخرى. بحيث يمكن أن تمنح هدنة أو عناية مؤقتة، لكن مهما حدث لا بد للرقبة الموصلة في مجراها. حتى ولو كان لمدة من الزمن لأن عرض العائلة رهن بها. فلا مجال للرجوع ولا للشفقة فالحل البديل موجود في الرقبة إلا السماح<sup>4</sup>.

بعض من طقوس الرقبة: فعندما يتم تنفيذ المهمة بنجاح، يقوم القاتل المستأجر بسلب برنوس القتيل، ويحضره إلى عائلة الضحية المطعونة في شرفها. حيث تستقبل هذه الأخيرة البرنوس الملتخ بالدم بإطلاق النار، وذلك إعلاناً أن خروبه تأخذ على حسابها القتل

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص ص 67-68.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 67-68.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 67-68.

<sup>4</sup> نفسه، ص 68.



المقترف. فإذا لم يتمكن القاتل المأجور من سلب البرنوس، فهذا لا يعن عدم إطلاق النار بالعكس يتم إطلاق النار كدليل على الانتهاء الرسمي للرقبة.<sup>1</sup>

### 3-2- نماذج تاريخية لعمليات الثأر

من النماذج التي احتفظت بها الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة، وسجلها هانوتو ولوتورنو في كتابيهما حول الأعراف القبائلية قصة شخص يقطن في قرية آث العربية، من قبيلة آث يني، ينتمي إلى عائلة كثيرة العدد وقوية، يدعى أعراب ناث ضيف الله<sup>2</sup>، كان يضايق أم شخص يدعى سعيد ناث بلقاسم بإثارة إشاعات مغرضة حولها، بل وأكثر من ذلك صار يعاكس نساء عائلة هذا الأخير، ويستفز رجالها برمي الحجارة فوق سقف منزلهم، دون أن تمكن مجلس القرية من وضع حد لهذه الاستفزات الخطيرة، وعلى إثر ذلك انتقم سعيد ناث بلقاسم لأمه، بقتل خصمه أعراب ناث ضيف الله، ثم فر هاربا إلى قرية ثاوريرث عبد الله وحظي بحمايتهم<sup>3</sup>.

كان قد أقام بين ظهرانيهم عشر سنوات حين جاءه عضو من خروبة العدو يسمى سعيد ناث ضيف الله الذي كان قد سقط في حياة بائسة يعرض عليه أن يفتديه ولأن سعيد ناث بلقاسم اقتنع بأن صاحب العرض كان مبعوثا من عائلته، فقد قبل العرض ودفع المبلغ المطلوب وحصل العناية. عاد بعد ذلك إلى آث العربية حيث استضافه قريبه مُحند ناث أو مُحند الذي كان قد عاد به من منفاه. والحال أن سعيد ناث ضيف الله كان قد تصرف لحسابه الخاص، ولم يخبر قط أفراد عائلته بالعفو الذي منحه له. ومن جراء ذلك ثارت

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص 68.

<sup>2</sup>Jules Liorel, **Kabylie du jurjura**, op.cit, p 441

<sup>3</sup> محمد أرزقي فراد، **المجتمع الزواوي...**، المرجع السابق، ص 112.

حفيظة وغضب آث ضيف الله، فنصب له عمر أومزيان وقاسي، كميناً أصيب إثره سعيد ناث بلقاسم، بجروح خطيرة، فأسغفه إخوته ثم حملوه إلى عرش إواضيين، حيث كان لاجئاً في قرية ثاوريرث عبد الله. ولما فطن آث ضيف الله إلى خطأ قريبهم سعيد، الذي منح لخصهم حمايته دون أن يخبرهم، جن جنونهم وندموا على ما فعله قريبهم سعيد، وعزموا على قتله، لكنه نجا منهم بعد فراره إلى آث بوذرار.<sup>1</sup> وبضربه سعيد ناث بلقاسم، تكون عائلة طيف الله قد خرقت لعناية محمد ناث محمد الذي كان قد عاد بالضحية من منفاه إلى القرية ومنحه اللجوء. فكانت الإهانة تطلب رد فعل أرادته محمد أن يكون ملفتاً<sup>2</sup>، قصد سوق الثلاث التابع لقبيلة بني يني واشترى هناك من تاجر أجنبي بندقية رفض دفع ثمنها. ولأن البائع اشترط الثمن أو تقديم ضمان، فصار خلاف بينهما فاجتمع الناس حولهما. وذلك ما كان يريده محمد الذي صاح بأعلى صوته: "لست في حاجة إلى ضمان، واسمي سيذكرك لك أول قادم من آث يني يوم الثلاثاء القادم؛ ستطلب له أن يحدد لك الشخص الذي كسر آل طيف الله لعناية التي منحها والذي لم يثأر!". في اليوم التالي، كمن أمام بيت أعدائه، وقتل بطلقة بندقية رب عائلتهم، يسمى المعيز، وهو رجل محترم يتمتع بالتقدير في القرية. وبعد ذلك منح الإواضيين اللجوء إلى محمد. وظل قاسي، أخو المعيز يبحث عن قاتل ماجور يتكفل بالرقبة. وفي الأخير أمكنه أن يغري بذلك، لقاء دفع مبلغ 3000 فرنكا، رجلين من آث يني، وهما رجلان كان قد استأجرا شأنهما، في ذلك شأن محمد، بسكان إواضيين هروبا من دين الرقبة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد أرزقي فراد، نفسه، ص ص 112 - 113.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص 69.

<sup>3</sup> نفسه، ص 69.

كان من المعتذر استخدام سلاح ناري، كانت طلقاته ستشير الانتباه والشكوك. ولأن محمد شخصا شغوفًا بالصيد، راح أحد اللاجئين يبحث عنه من أجل أن يظهر له حبالا كان قد إصطاده منذ حين. رافقه محمد من دون أي توجس، ودلف إلى بيته؛ وبينما كان يظهر له الطير، وجه له الآخر ضربة عنيفة بأزدوز\* على الرأس. فوقعت الضحية على الأرض مغمى عليها وأخفيت جثته بعناية.<sup>1</sup> "وجرى إشعار آل طيف الله بعلامة، فجاؤوا ليلا واستقبلوا الجثة من خلال النافذة. وقد نقلوا الجثة من خلال بغل إلى غاية قريتهم"<sup>2</sup> ومع تبشير الصباح الأولى تم نزع البرنوس الذي غطى به جثمان الضحية، وأطلق أفرادها البارود لإعلان إتمام مهمة "الثأر". أما المأساة ذات الطابع الثأري، فقد تمثلت في إلقاء أهل إواضيين القبض على الفاعلين، فتم قتلها بطريقة وحشية، ثم قطعت جثتيهما إربا إربا.<sup>3</sup>

ومن الأمثلة الشهيرة أيضا حول ظاهرة "الثأر" في بلاد زاووة قضية مقتل أعمر أولقاضي من إمارة كوكو. إذ وفق رواية شخص ينتمي إلى العائلة المرابطية آث سيذي سعيد التابعة لعرش آث منقلات، فإن السلطان أعمر أولقاضي كان يملك فيلا يتسبب في إتلاف بساتين ومزارع أهالي عرش آث يحيى، فانزعجوا من ذلك وأرادوا أن يشتكوا إليه. لكن تخوفوا منه لأنه معروف عليه القهر والاستبداد ونظرا لعدم تجاوبه معهم، خططوا لقتله، فكان لهم ذلك وقتلوا معه فيله<sup>4</sup>. وبعد مقتله هددوا زوجته وأمروها بالانتقال إلى مكان آخر مع ولديها الاثنتين وإلا سيقتلونهم جميعا، فأخذت بأمرهم. ثم ذهبت بعد ذلك إلى تونس وواصلت

\* أزدوز: كلمة قبائلية تعني البيزر.

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص 69.

<sup>2</sup> نفسه، ص 69.

<sup>3</sup> Jules Liorel, *Kabylie du jurjura*, op.cit, p 443.

<sup>4</sup> علي بن الشيخ، مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه تخصص لغة وثقافة أمازيغية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2017-2018م، ص ص 102-103.

تربيتهما، أحدهما كان حاكما لمحلة\* (الجنود) الأتراك وكان حكيما وذات مرة تسبب بضرر للحكام فاتفقوا على مكيدة له، فقامت عجوز بتنفيذها، فذهبت إلى الينبوع الذي يغسل فيه ويشرب منه حصانه، ولما رآها أمامه طلب منها الابتعاد فرفضت وأبعدها، فردت عليها قائلتا: "لو كنت رجلا فحلا لانتقمتم من الذي قتل أباك".

وهذا الأمر شغل تفكيره فطلب من أمه أن توضح له القصة. فقصت له ما حدث لأبيه بعد إلحاح منه، فطلب من باي تونس أن يصاحب جنوده إلى بلاد القبائل من أجل "الثأر" فاتجه إلى "ثفيلكوت" وبقي هناك مدة طويلة. وفي إحدى الأيام اتجه إلى مكان يدعى السبت بجنوده من أجل المهمة التي جاء من أجلها، فحارب سكان آث يحيى وآث يوسف وآث منقلات، وكل سكان إقاواون. فقتل منهم وقتل بعض من جنوده حتى وجدوه في أحد الأيام ميتا. أما أحد إخوته فقد بقي في ثيزيط، وإلى حد الآن ما زال ضريحه وبيته موجودا<sup>1</sup>.

وفي رواية أخرى تناقلتها الذاكرة الجماعية لقرية ثفيلكوت، فإن سيدي حند القاضي كان يعيش في كوكو، ولما قتله السكان فرت زوجته بجنوده إلى تونس وهي حامل، ولما ولدت أعطت لابنها اسم والده، ولما بلغ سن 18، طلب من أمه أن تخبره عن بلده الأصلي، لأنه يخبرونه أنه أجنبي، فأخبرته بذلك طبعاً بعد إصرار منه، ولما عرف أن بلاد كوكو هو بلده عاد إليه واتجه إلى ثفيلكوت وبقي مدة طويلة هناك، ثم طلب سكان آث يحيى أن يأتوا لزيارته. فبعثوا له الطاعنون في السن (العجزة والمعوقين) فألبسهم أوفر الثياب ثم عادوا. وفي

\* المحلة: عبارة عن فرق الجيش الانكشاري التي تتوجه للبايلكات الثلاث سواء لجباية الضرائب أو لمعاينة القبائل الثائرة وغالبا ما تخرج في شهر أفريل كل عام : انظر عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للبحث ودراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 1974م، ص 35.

<sup>1</sup> علي بن الشيخ، المرجع السابق، ص ص 103-104.

أحد الأيام طلب من السكان المجيء مجدداً فقتلهم جميعاً، وبذلك "ثأر" لمقتل أبوه وعاش بقية حياته في ثفيلكوث<sup>1</sup>.

ومن خلال ما سبق ذكره، نستنتج بأن الروايات متشابهة في جوهرها، فكلها تشير إلى أن حكم أولقاضي كان استبدادياً، وأنه قتل من طرف السكان بتحريض من المرابطين وأن زوجته فرت إلى تونس، وأنها كانت حامل ولما كبر ابنها عاد "للثأر" لأبيه. كما نستخلص أن قضية "الثأر" ذات أهمية قصوى في منطقة زواوة، فالرجل الذي يقتل أحد من أفراد عائلته عليه استرجاع "الثأر" وإلا يسقط شرفه وشرف عائلته في القرية.

#### 4- العلاجات الاجتماعية لظاهرة الثأر:

كان لظاهرة "الثأر" نتائج اجتماعية جدّ خطيرة، إذ ما برحت تتجم عنها نزاعات أسرية وقبلية طاحنة، تُفضي -في كثير من الأحيان- إلى نشوب الحروب في المنطقة<sup>2</sup>. وعليه، فقد سعى المجتمع الزواوي جهده إلى إيجاد علاجات فعالة لهذه المعضلة المستعصية. وفي هذا الإطار، تفتقت العبقرية المحلية عن عدة صيغ علاجية مرنة، وفيما يلي أهمها:

#### 4-1- العلاجات الاستباقية

تضمنت أعراف المجتمع الزواوي قواعد صارمة تهدف إلى الحيلولة دون تفاقم الخصومات التي تحدث بين الأفراد، وتطورها إلى جرائم قتل تستوجب حق "الرقبة"، وإلى سلسلة من النزاعات لا نهاية لها.

<sup>1</sup> علي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 104.

<sup>2</sup> عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 296.

وفي هذا السياق، يمكن الاستشهاد بالعديد من الأحكام التي تضمنتها القوانين العرفية في البلاد الزواوية. فإذا أخذنا عرش آث يعلى\* -على سبيل المثال- نجد أنها تنص على ما يأتي:

- إذا تقاتلا طفلان كل منهما يدفع ربع ريال .
- كل من يجرح شخصا في نزاع يدفع دورو.
- إذا قتل أحدهم أخاه بنية أن يرثه يعود كل ما يملكه القاتل والمقتول إلى جمعية djemaa.
- من يقتل رجل يدفع خمسة وعشرين دورو غرامة، أما الدية فهي ثلاث مئة دورو<sup>1</sup>.
- وغير بعيد عن هذه الأحكام، تنص -بدورها- أعراف عرش إيواقورن\* على ما يلي:
- كل شخص يهدد شخصا آخرًا بسلاح لسبب ما يدفع غرامة سنتين ونصف إذا ما أطلق النار فيدفع خمسة دورو<sup>2</sup>.

\* وتقع القبيلة على ضفاف واد هيدوس، ويحدّ قبيلة بني يعلى من الشمال قبيلة آث صدقة (شنانة وأقدال) ودوار كوريت التابع لفورناسيونال (الأربعاء ناث يرانث)، ومن الشرق قبيلة مشدالة والعجيبة. ومن الجنوب قبيلة أهل القصر وسبخة. ومن الغرب أولاد بردي وقبيلة بني مدور. أنظر: يسمينة سعودي، النظام العسكري والإداري في مشدالة...، المرجع السابق، ص 20.

<sup>1</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites chez les populations sédentaires de l'algérie**, op.cit, pp 300-302.

\* تقع قرية بني واقور وسط أعالي جبال جرجرة، يجاورهم من الغرب تقربوست وسلوم ومن الشرق قرى مشدالة وهي إغيل حماد، ولبارة، ومن الجنوب تكسيغدان، وشرفة، وبني منصور التي يفصلها عن واد الساحل، أما من الشمال فتصلهم سلسلة جبال جرجرة عن منطقة زاوة . أنظر: يسمينة سعودي، المرجع السابق ص 14.

<sup>2</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites...**, op.cit, p 306.

- من يأتي لمساعدة أخيه في نزاع ما، فإذا استعمل الكلام فقط يدفع ربع ريال، وإذا ضرب يدفع فرنك واحد وستة سو.
  - أما فيما يخص القتل، فإذا قتل أحد والده من أجل أن يرثه، فالجمعية تقوم بالإستلاء على جميع ممتلكات المتوفي وممتلكات القاتل<sup>1</sup>.
  - كل من يرفض دفع غرامة يعاقب عليه بالمزدوج<sup>2</sup>.
  - نفس الشيء عند بني كاني\* فيما يخص القتل بغرض الورث، ولكن القاتل هنا يتم قتله من طرف djemaa. ومن بعض قوانينهم أيضا:
  - إذا هرب القاتل وغادر البلاد فلا يمكنه العودة<sup>3</sup>.
  - عندما يتشاجر أخوان وكانوا يعيشان في نفس المنزل فلن يتحملوا أي غرامة، وهنا يعيشان كما أنهما غرباء<sup>4</sup>.
- أما في قوانين بني عيسى\* :
- إذا تضارب رجلان كل منها يدفع غرامة وهي دورو .

<sup>1</sup> Emile Masqueray, op.cit, p308.

<sup>2</sup> Ibid, p 306.

\* تقع قبيلة بني كاني في منطقة جبيلية، تحدها من الشمال قرى زواوة، منها أقبيل إلبلتن وابوذرارن التابعة للبلدية المختلطة لجرجرة ومن الشرق بني مليكش وتازمالت، ومن الغرب مشدالة وبني واقور، ومن الجنوب قرية شرفة. أنظر: يسمينة، المرجع السابق، ص 16.

<sup>3</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites...**op.cit, p 310.

<sup>4</sup> Ibid, p 311.

\* تعود أصول المنطقة إلى جذور بربرية، حيث كانت مخيما للرومان (في العهد الروماني)، حيث تتواجد الآثار بها إلى حد اليوم، وقد لعبت دورا هاما في المقاومة الشعبية وتتكون القبيلة من عدة قرى منها، إغيل انزعوين، وقرية إيلال (المعروفة حاليا بالسماش)، وقرية أمالو، وقرية أفولال، وقرية أويذير. أنظر: يسمينة، المرجع السابق، ص 22.

- أما فيما يخص القتل بين أخوين فتبيع الجمعية ممتلكات القاتل وتخصصها .

- المرأة التي تقتل زوجها ترحم من طرف الصبيان حتى الموت<sup>1</sup>.

وفيما يخص منطقة مشدالة \* :

- إذا ارتكب شخص جريمة قتل، يعاقب عليه بالموت. هنا تنفيذ للقصاص لا رجوع فيه ولا تعويض عنه.

كذلك في سبخة \* نجد مثلا :

- كل من قتل للانتقام من إصابة، يدفع خمسة وعشرين دورو ودية مائة دورو.

- من قتل بدون سبب وجيه يستأهل القتل<sup>2</sup>.

فمن خلال إطلاعنا على هذه القوانين نجدها على العموم نفس المخالفات التي يرتكبها الفرد الزواوي في مختلف المناطق، ونفس القوانين المفروضة عليها إذا اختلفت تختلف في بعض العقوبات المفروضة على القتل. إذ هناك بعض القبائل لا تقبل إلا بالرقبة فيما يتعلق بالقتل، والبعض الآخر يعوضها بالدية والغرامات المالية. فهذه القوانين على امتداد عصور في سلسلة متوارثة، بما فيها القوانين الخاصة بالسرقة وعقوبتها، حيث نجدها غير مكتوبة لكنها تطبق من جيل إلى جيل لأنها راسخة في ذاكرة المجتمع الزواوي.

<sup>1</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites...**op.cit, pp 316-317.

\* تقع قبيلة مشدالة على ضفاف واد الساحل يحدها من الشمال كل من آث بوزرار ويني بوعكاش التابعة لبني واسيف ومن الشمال الشرقي بني واقور ويني كاني، ومن الغرب بني يعلى ويني عيسي ومن الجنوب واد الساحل ومن الشرق قرية شرفة. أنظر: يسمينة، المرجع السابق، ص 13.

\* ويحد المنطقة من الشمال قبيلة مشدالة ويني يعلى شرقا (تتاشيت) ومن الغرب آث لقصر، ومن الجنوب بني وفاق التابعة لبلدية المختلطة للبيبان مقاطعة قسنطينة. أنظر: يسمينة، نفسه، ص 21 .

<sup>2</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites...**op.cit, pp 281.



فكلنا نعرف أن القرآن الكريم في هذا السياق يطبق "...النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن..."<sup>1</sup> أي المساواة في مقابلة الأذى بمثله، وذلك بأن الشخص الذي يؤذي شخص آخر يعاقب بدرجة مماثلة، فالمجتمع الزواوي في عملية "الثأر"، يرى أن "الثأر" قائم لأهل المقتول بغض النظر على ما ينص عليه القانون، إذ هذا الأخير في ثجماعث ينص على نفي القاتل وتخريب منزله والإستلاء على كل ما يملك والعيش في منفى ومعزل عن الناس<sup>2</sup>.

**4-2- العلاجات البغدية:** كما سبقا وأن أشرنا أن القانون الزواوي حاول جاهدا تقادي مشكلة "الرقبة" في المجتمع من خلال وضع مجموعة من القوانين، لكن في حالة ما إذا وقعت جريمة القتل، كان العرف الزواوي يسعى إلى معالجتها عن طريق دفع الدية بدلا من الأخذ "بالثأر".

#### - الدية عوض الثأر

كان سكان جرجرة يستكفون -بشكل عام- عن قبول الدية، وذلك باعتبارها صفقة مالية يتم بموجبها دفع ثمن الدم نقدا. إلا أن بعض القوى المحلية من أعيان وأشراف كان يجتهدون في العمل من أجل تغيير هذه الذهنية<sup>3</sup> التي لا تقيم أي اعتبار لحياة الإنسان<sup>4</sup>، وهو ما يبدو أنه قد أثمر في بعض المناطق على غرار منطقة وادي الساحل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 45، ص115.

<sup>2</sup> Dumas Et Fabar, la **grande kabyle**, op.cit, pp 51-52.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص 64.

<sup>4</sup> غابرييل كامب، المرجع السابق، ص 385.

<sup>5</sup> أ- هانوتو وأ-لوتورنو، ج 3، المصدر السابق، ص 64.

وفي حالة دفع الدية، كان يتم تحديد قيمتها بالنقود أو بقطعان الماشية أو غيرها من الأموال حسب المجموعات. وما أن تدفع الدية حتى يتوقف حق المتابعة في الحال. والواقع أن هذه التسوية لا تخص الأفراد، بقدر ما تعني المجموعات الأسرية<sup>1</sup>.

كما يلجأ مقترب الجريمة إلا طلب العفو من عائلة المغدور به، ويسعى جاهدا لتحقي ذلك ليسلم هو وذويه من العقاب المنتظر، وعليه سوف نتحدث عن الطريقة التي يطلب منها الصفح.

طريقة طلب العفو: يدخل العفو من بين الحلول البعدية للرقبة تجنباً "للثأر"، كما دخلت فيه بعض الممارسات وبعض الأطراف المهمة في المجتمع، وتبدأ العملية من خلال لقاء العائلتين ومحاولة الوصول إلى التسوية. بحيث يتجه القاتل -الغير عمدي- إلى المكان المتفق عليه مع عائلته، مرفوقا بالمرابطين، حاملا قطعة قماش من برونسه. ويتناول المرابطين الكلمة، ويذكرون مشيئة الله والقدر الذي تسبب في هذا الأمر، كما يفصحون عن حسرة المسؤول وألمه لهذه الواقعة الغير مقصودة، ثم يطلبون الرحمة والمغفرة من العائلة المعنية المفجوعة، ثم يتدخل بعدها القاتل ببسط تلك القطعة التي جاء بها أمام أقارب الضحية، و يقول: "إذا ما أردتم قتلي، ها هو كفني. وإلا فاغفروا لي، وسأكون واحد من أبناءكم." وبعد الحديث والمداولات في القضية تتخلى العائلة حينها عن الرقبة وسط دموع النساء وابتهالات المرابطين<sup>2</sup>. وينتهي اليوم بمأدبة يقوم بها القاتل المعفو عنه على شرف المرابطين، كما يتم دعوة أهل الضحية، لكن في العادة لا تحضر. وابتداءً من ذلك يصبح القاتل كفرد من أفراد عائلة خروبة المتوفى التي يتبنى صفها. وبالرغم من أنه لا يجب

<sup>1</sup> غابرييل كامب، المرجع السابق، ص 385.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص 70-71.

اعتبار المصلحة دافعا للعفو، ولا توجد عائلة كبيرة تقبل ببيع رقبتها، فإنه يحدث أحيانا أن لا ينطفئ دين الدم إلا مقابل مبلغ من المال<sup>1</sup>.

لكن العفو يجب أن يكون عفوا جماعيا للقاتل حيث يكون العفو صادر من العائلة بكاملها، ليس من حق رب العائلة أو الأقربين أن يتخذوا قرار الصلح بشأن حق الذي يعني حرمة كل عضو من أعضاء الخروية. كما يحق للمعارضين أن يأخذوا "الثأر" لحسابهم الخاص<sup>2</sup>.

فوجدنا بعض العائلات تتراجع عن تسوية كانت قد قبلت بها، ولا تأخذ بعين الاعتبار تصريح الأمان الذي قدمته من قبل. حيث يوجد في قانون إيغيل فيكان ترتيب يعاقب بغرامة من يخرق عفوا سبق أن منحه<sup>3</sup>.

أما القتل الذي يتسبب فيه قبائلي ليلا أثناء كمين نصبه العدو، أو في النهار أثناء معركة، من طرف رجل من ذات الصف، حاسبا إياه عدوا، حالة قلما تؤدي إلى التسوية والوصول إلى الصلح<sup>4</sup>.

**4-3- العلاجات الخرافية:** يوجد اعتقاد شعبي مفاده أنه إذ ما استطاع القاتل، وذلك في غضون ثلاثة أيام أو سبعة (العادة تختلف بهذا الصدد) أن يقفز فوق قبر ضحيته سبع مرات، فسوف ينجو بذلك من كل خطر يحيط به وينقذ بذلك خرويته بكاملها. ولذلك يجري الحرص

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 70-71.

<sup>2</sup> نفسه، ص 72.

<sup>3</sup> عندما يقتل أحد الأفراد من طرف غيره أو يصيبه بجرح، ثم يقصد المرابطين عائلة الضحية ويتوسلون منهم تقديم العفو للمذنب أو منحه لعناية، ويوافق هؤلاء، وبعد ذلك يتراجعون عن موافقتهم ويأخذون الثأر، يدفعون 20 ريالاً إن كانوا راشدين، و10 ريالاً إن كانوا قسراً. (إيغيل فيكان). أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتونو، ج3، ص 72.

<sup>4</sup> نفسه، ص 72.

على الاحتفاظ بحفنة من تراب قبر الميت. لكن أحيانا يلقي القاتل مصيره في بحثه عن الخلاص من العقوبة<sup>1</sup>.

#### 4-4- الاستثناءات

كما سبق أشرنا أن القتل ينجم عنه القتل ولا مجال للنقاش في ذلك. بحيث أن العرف لا يقبل بالعفو في القتل العمدى، وقد لاحظنا أنه حتى تلك الأخطاء الغير المقصودة يعاقب عليها - لكن - بعد تفاقم هذه الذهنية "الثأر"، وبمحاولات العرف الزواوي والأطراف المؤثرة في المجتمع، استبدلت الرقبة ببعض العقوبات وإدخال استثناءات في الأفعال المولدة للرقبة في حالة القتل الغير عمدى، للبعد عن الرقبة التي تنتج بظروف خاصة.

في الاستثناءات لمبدأ الرقبة المسموح بها في التقليد العام

- قتل امرأة أو طفل أثناء إطلاق النار في الحرب، هنا صاحبه يفلت من الرقبة.
- القتل المقترف من طرف شخص أبله، أو الناجم عن قبيلة الحيطة والحذر، أو موت شخص بضربة حيوان، فهنا الأمر لا يستدعي الرقبة ولا يحتم الرأي العام لذلك، فالعائلة المطعونة في حرمتها هنا لها الخيار بين الانتقام أو العفو<sup>2</sup>.

في استثناءات المحلية للقاعدة العامة:

"تسمح الاستقلالية التي تتوفر عليها القرية بالاستثناء من القاعدة العامة. ففي موضوع الرقبة، أدى تطور الأفكار الإنسانية وكذلك تأثير القرآن، بهذه الدرجة أو تلك، بعدد معين مؤسسات ثجماعت إلى القبول إما باستثناءات للمبدأ نفسه، وإما بتخفيف هذا الحق في الدم."

<sup>1</sup> نفسه، ص 68.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص ص 70-71.

في استثناءات مبدأ الرقبة

"تُقبل المسؤولية الشخصية في إغيل إيمولا وعند آث خليفة<sup>1</sup>."

" لكن عند سكان آث عامر أوفايدي يستمر العمل بمبدأ الرقبة، فلم تقتصر على القاتل فقط بل وعلى ابنه بعد موته، أو على وريثه إذا ما توفي دون أن يخلف ذرية ذكورا. دين الرقبة يستمر هكذا مع الوراثة<sup>2</sup>."

ووسط هذه العمليات التي تؤدي إلى سفك الدماء، نجد قبيلة آث منصور(السفح الجنوبي من جرجرة) القبيلة الأكثر إنسانية: فهي تكتفي في الرقبة بنفي القاتل وتدمير منزله<sup>3</sup>. ونفس التعاطف الذي نلمسه من طرف سكان آث يعلى (السفح الجنوب لجرجرة) الذين يقبلون الدية عوضا عن الانتقام<sup>4</sup>.

في الاستثناءات الخاصة المرتبطة بطبيعة القتل:

والمقصود هنا الدية المعمول بها في معظم القرى الزواوية، لكن نجدها فقط في الحالات التي تخص قتل الابن أو الإجهاض مع بعض التمييز.

<sup>1</sup> من يمارس الثأر لا يحق له الانتقام من أخ القاتل أو على عمه. لا يستطيع تنفيذ الرقبة إلا في حق القاتل ذاته. إغيل إيمولا". عندما يقوم فرد بقتل، فإن دين الدم يقع عليه وحده "آث خليفة". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، نفسه، ص 72.

<sup>2</sup> إذ ما قتل فرد آخر، ينفذ الثأر على القاتل وليس على أقاربه. فإذا مات دون أن يكون قد دفع دين الدم، تنفذ الرقبة على ابنه. فإذا مات من دون أن يخلف ولدا ذكرا، يخضع الوراثة لدين الرقبة "آث عامر أوفايدي". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 73.

<sup>3</sup> من يقتل غيره، يتعرض على النفي ويدمر بيته. "آث منصور" أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص73.

<sup>4</sup> دية الرجل هي 600 ريال "آث يعلى". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص73.

- فلدى سكان سبخة، المرأة التي تجهض مولودها في بيت زوجها تتعرض إلى عقوبة القتل. وإذا كانت قد ارتكبت هذه الجريمة في بيت أقاربها، يتعرض هؤلاء إلى الرقبة إذا ما الجنين ذكرا، أما إذا كانت أنثى فنتحمل الدية فقط<sup>1</sup>.
- عند آث كاني لا تتعرض المرأة للعقوبة، لكن أقاربها يخضعون لذلك (الرقبة) أو للدية (نفس التمييز عند أهل سبخة فيما يخص جنس الجنين)<sup>2</sup>.
- يكتفي سكان إمشدالن<sup>3</sup> بالدية في جميع حالات الإجهاض<sup>4</sup>.
- في قرية (آث لقصر) قاتل زوجته ليس عليه أي رقبة بل يكتفي بدفع الدية مع الغرامة<sup>5</sup>.
- المرأة التي تقتل زوجها، تقتل بطريقة بشعة، وبصفة جماعية بحيث يشارك في ذلك جميع أهل القرية، حيث يتم رجمها بالحجارة حتى الموت "آث عيسى"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> إذا ما قامت المرأة بالإجهاض في بيت زوجها، تقتل في هذه الحالة إذا ما قامت به في بيت أقاربها، يتحمل هؤلاء المسؤولية، بمعنى خضوعهم للرقبة، في حالة إذا ما كان المقتول ذكرا، أما الأنثى فتتعرض عائلة المرأة للدية "سبخة". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص73.

<sup>2</sup> إذا ما أخذت المرأة مخدرا من أجل الإجهاض، وكان الجنين طفلا يتعين على الزوج العمل بحق الرقبة ضد أقارب الذكور للمرأة. وإذا ما كان الجنين أنثى يخضعون للدية "آث كاني". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص73.

<sup>3</sup> إذا ما تناولت المرأة مشروبا للإجهاض ووجود الدليل لذلك فإنها تدفع الدية، فإذا لم يوجد الدليل تقوم بالقسم "إمشدالن". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص73.

<sup>4</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص ص 72-73.

<sup>5</sup> من يقتل زوجته، يدفع 50 ريال دية لأقارب المغدورة و 20 ريالا لثجماث "أهل لقصر" أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 74.

<sup>6</sup> Emile Masqueray, **Formation des cites...**op.cit, p 317.

- "تعاقب بعض القبائل كذلك مباشرة على جريمة التسميم، تلك الجريمة الشنيعة والبشعة التي تُلطخ شرف القبيلة<sup>1</sup>.

وما نستخلصه أنه عندما يتعلق الأمر بالقتل الغير عمدي، يسمح العرف بالعفو كما سبق وان أشرنا لذلك. هذا الأمر المعمول به في معظم قرى السفح الجنوبي، بحيث تفلت المرأة من الرقبة وتقبل فقط الدية في هذه الحالة فقط<sup>2</sup>.

- "عند سكان سبخة، للقائل غير عمدي أجل عشرة سنوات لتسوية شؤونه، ويطرد بعد ذلك من القرية"<sup>3</sup>.

- "الاستثناءات الأكثر انتشارا هي التي تتعلق بجريمة قتل السارق ليلا الذي يحاول دخول البيت." ففي العرف القبائلي، هذا النوع من الجريمة لا تتبعه الرقبة؛ غير أن هذه الحصانة كانت تتعرض في الغالب للتزوير، فجنحة المقتول في الحقل سواء جراء انتقام أو حقد، كثيرا ما تنقل إلى بيت القائل بكل سرية، ليقدم للأمين كجسم جان عثر عليه متلبسا بجريمته، ومن ثم تحتج خروبة المقتول، لينتهي الأمر إلى قتال دموي بالبنادق. حيث كان من المستحسن العمل بالرقبة، الذي يعتبر الحل الوحيد لإيقاف هذه الفوضى العارمة التي لم يسلم منها لا

<sup>1</sup> إذا ما قام أحد سواء رجل أو امرأة بتسميم الغير، يدفع 10 دورو غرامة إن لم تمت الضحية، وإذا مات الشخص المسموم يدفع 25 دورو و يتعرض لعقوبة الموت "آث خليفة". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 74.

<sup>2</sup> من يقتل غيره يدفع 100 ريال غرامة إلى ثجماعث و الدية إلى أقارب الضحية. لا يخضع للرقبة "إغيل - نزكري، الضفة اليمنى" أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 74.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 74.

الكبير ولا الصغير، لا الرجل ولا المرأة، غير أن عددا كبيرا من القرى الزواوية احتفظت بالقانون القديم<sup>1</sup>.

- أما فيما يتعلق بالدفاع عن الشرف فمن يقتل "ثأرا" لشرف زوجته أو نساء عائلته يفلت من الرقبة لأنه دافع عن شرفه، وهذا الأخير معروف عند زواوة بالصيانة وهو خطر أحمر لا مجال لتجاوزه<sup>2</sup>. - لكن - هناك بعض قبائل من السفح الجنوبي، التي تعمد تحت تأثير العرب، إلى تعويض دين الدم بالدية فيما يتعلق بأعمال القتل المرتبطة بهتك الحرمة أو الخيانة الزوجية<sup>3</sup>.

#### - في القصاص في حالات الضرب و الإصابة بالجرح:

"لا تستدعي الجروح، مهما كانت خطورتها الرقبة. أما بخصوص الجروح البليغة التي تسبب بالموت أو تؤدي لصاحبها لحالة حرجة، فهنا تستدعي "الثأر"، فعلى سبيل الأمر عند سكان آث كاني، إذا ما تعرض قبائلي بضربة على الوجه بواسطة كباش (خاتم نحاسي مزود بكلاب معدني)، فإنه يحق له أن يرد بطلقة نار. والمسؤولية تكون في هذه الحالة شخصية، لكن لا يتحمل المسؤولية إلا في حالة ما إذا كان وهو يحاول أن يتخلص من قبضة خصمه، وأصابه بجرح غير عمدي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إذا ما قتل صاحب البيت السارق، لا يدفع شيء، ويبقى دم الجاني بدون ثأر. وإذا ما حاولت عائلته الثأر، يدفعون 100 ريال غرامة على ذلك لأن ابنه مذنب في نظر القانون "تويريت عبد الله". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 75.

<sup>2</sup> من يقتل بسبب شرف زوجته لا يدفع شيء ولا يتعرض لأية عقوبة (الرقبة)، بل يدفع ورثة المقتول 50 ريالا إلى ثجماعت "آث كاني". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 75.

<sup>3</sup> من يقتل شخص للثأر للشرف، يدفع 55 ريال غرامة، و200 ريال دية. ومن يقتل شخص لسبب آخر، يخضع لقانون الذحل "سبخة، السفح الجنوبي". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 75.

<sup>4</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص 76.



وفي هذه الحالات التي ينجم عنها الضرب نجد الخروبة تتخذ موقف الحيادية فلا تكون معنية إلا عندما يلحق بها ضرر كبير من خلال خسارة أحد أعضائها. لأن هذه الأخيرة تتحمل مسؤولية كل عضو من أعضائها، والمساس بهم بمثابة المساس بها كلها. ونفس الموقف يُتخذ من قبل ثجماعث التي لا تتدخل من أجل الإمساك بالمذنب وتسليمه، ومن الصعوبة أن يجد الجريح فرصة ملائمة لكي يوجه لخصمه ضربة متطابقة تماما مع تلك التي تلقاها، وهو يخاطر إذ يحاول الانتقام، بقتل خصمه وتحويل فعل الذحل إلى الرقبة. ومن ثم يرضخ لأمر الواقع ويكتفي الجريح بالعقوبة المالية التي تفرضها ثجماعث، بحكم حقها الاجتماعي على المذنب". وشرعية الذحل يجب أن تتبع مبدئيا الجريح، ولهذا السبب بلا ريب لا تقر له القوانين بتعويضات؛ ولكن هذه الشريعة لا تطبق تقريبا أبدا<sup>1</sup>.

فبعض القبائل الموجودة على ضفاف البحر لا تزال تطبق المبدأ الرقبة\_ بكل صرامة، وهذا خاصة عندما يتعلق الأمر بجرح خطير بحيث يعتبر ذلك شرف الجريح بالنسبة لها. لذلك يستوجب الرقبة، مهما كانت الصعوبات والمخاطر وحتى النتائج<sup>2</sup>. حيث لا يعمل بمبدأ التعويض سوى في بعض القبائل الموجودة في السفح الجنوبي، مع مميزات تذكر كثيرا بالترتيبات المعمول بها عند الجرمانيين<sup>3</sup> كما تدفع الدية على الجرح الذي يتسبب به

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 75-76.

<sup>2</sup> من يطلق النار وأصاب أحدا بجروح، فإن الجريح يمارس شريعة الذحل، حتى ولو اضطر للانتظار طويلا حتى تتيح له الفرصة لذلك "آث غويري". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 76.

<sup>3</sup> من يحطم أسنان شخص آخر، يدفع إلى جانب الغرامة 5 ريال عن سن مكسور "آث منصور". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 76.

- من يفتأ عين شخص آخر يدفع 20 ريال غرامة و 60 ريال دية. من يقطع عضو من أعضاء شخص آخر يدفع الغرامة لوالديه. إذا جذع أنف غيره يدفع 20 ريال غرامة و 50 ريال دية "سبخة". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 76.

الحيوان<sup>1</sup>. وتمنع معظم القبائل أي انتقام، دون أي دية: الجريح الذي يرد الضربة يتعرض للعقاب مثل المعتدي، بل أشد منه<sup>2</sup>.

في القانون الخاص بالفعل الذي يمس الشرف:

في الزنا وهتك الحرمة:

المجتمع الزواوي مجتمع بدائي بطبيعته، هذا الأخير الذي لا يعرف التسامح فيم يخص انتهاك عرض العائلة وشرفها، فالشخص المطعون في شرفه لا يقبل لا الضرب ولا الدية ولا الغرامة ولا السامح، كل ذلك لا يرد له الاعتبار سوى الرقبة من المذنب، وليس له أي عقوبة على ذلك<sup>3</sup>. فهذا الحق الذي جاء بموافقة جميع أهل القرية، فإذا تسامح اليوم عن مثل هذه الجريمة لا سوف يتفاهم الوضع وتنتشر الفوضى، ويعم الفساد والفسق. لذلك فالقرية تضع السلاح في يد الشخص المطعون في شرفه، وتأمره باستعماله ليس فقط من خلال ضغط الرأي العام، بل تسلط عليه غرامة مالية إذ ما تهاون في التنفيذ. كما ترغمه

<sup>1</sup> إذا عض كلب إنسانا وإجتزر عضوا منه، يدفع مالك الكلب الدية "سبخة" "السفح الجنوبي". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص76.

<sup>2</sup> من يكسر بواسطة عصا وهو يتعارك مع شخص آخر، أو بواسطة حجرة ضرسا أو سنا آخر لخصمه يدفع 5 ريالات. فإذا رد الضربة يدفع نفس الغرامة، لكن في الحالة ما إذا كان قد تعرض للعض في الإصبع أو الرأس، فحسب بغتة إصبعه أو رفع رأسه، وتسبب بذلك في تكسير أحد أسنان خصمه، لا يدفع شيئا "توريرت عبد الله". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 76.

<sup>3</sup> من يقتل رجل كان علاقة مع زوجته أو ابنته أو أخته أو خالته أو أحد النساء من عائلته لا يدفع أي غرامة مالية "أقني تسلانت". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص 77.

على طلاق زوجته المذنبه إذا ما كانت القضية تخصها، وإذا رفض ذلك يقوم هو بدفع غرامة المعنوية بالأمر<sup>1</sup>.

أما المذنب يسلم من العقاب في حالة عدم وجود الزوج، أو أحد أقاربه، وتهاون القيام بأخذ "الثأر" منه<sup>2</sup> مع ذلك فإن الرقبة الرهيبه التي تلين ستطال الزوج المسكين الذي يجد نفسه في وضعية لا يحسد عليها، التعرض لفقدان الشرف والنبذ من أهل قريته، إذا لم ينتقم لشرفه؛ فإذا قتل سي جلب الرقبة لخروبه<sup>3</sup>.

ومع ذلك فهناك بعض القبائل التي قامت بإلغاء الرقبة من تلقاء نفسها في حالة ما قتل رجل أحد آخر نتيجة تعرضه لشرفه، فهذا الأخير هنا يسلم من حق الرقبة، لكن البعض الآخر عوضها بالدية<sup>4</sup>. أما في بقية منطقة الزاوية، يحاول الزوج أو القريب المكلف بحماية المرأة الزانية التوفيق بين مطلب الشرف وأمنه الشخصي، مكتفيا بضرب المذنب بالعصا أو بإلحاق جرح به. وأحيانا يتناسون وضع رصاصة في بندقيتهم ويطلقون على المذنب أو على أحد أعضاء عائلته طلقة بريئة. هذه المسرحية تكفي لكي يكون الشرف مصاناً، ويتم هكذا تفادي الرقبة. ومراوغة الرأي العام فيما يخص الشرف، والإفلات من العقوبة التي سوف

<sup>1</sup> إن كانت هناك موافقة من طرف المرأة، يدفع أقاربها أو زوجها 25 فرنكا. إذا طلقها، لا يدفع شيئاً "آث عيسى أميمون". تدفع المرأة المتورطة في عملية الزنا 50 ريالاً. ويدفع زوجها بدلاً منها، لهم إلا إذا طلقها. المرأة المغتصبة لا تدفع شيئاً "آث عامر أوفايدي". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص77.

<sup>2</sup> من يقترب الزنا يدفع 50 ريالاً، لكن فقط أن يكون الزوج قد انتقم لشرفه، يعني أن يكون ضرب الزانية بحجرة، بعضاً أو بندقية، إذا لم يكن هناك شيء يمنعه من ذلك، فيتعين على الأقارب أن يعلنوا اعتزامهم، بواسطة عقد، متابعة الزانية "آث عامر أوفايدي". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص77.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص ص 77-78.

<sup>4</sup> من يقتل رجلاً انتقاماً لشرف زوجته لا يتعرض لأي عقوبة "آث كاني". أنظر: أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، ص78.

تسلط عليه في حال تم اكتشاف ذلك، أما في العائلات الكبرى التي لها شأن فلا يرد الاعتبار لشرفها سوى دم المذنب. ولا مجال للنقاش في ذلك<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> أ- هانوتو وأ-لوتورنو، ج3، المصدر السابق، ص 78.

## خلاصة الفصل:

يتميز المجتمع الزواوي بميزة خاصة كانت المفتاح في تسيير شؤونه لما عرفه من قوة قوانينه، التي نظمت جميع مجالات الحياة تنظيمًا محكمًا، مع أخذ بعين الاعتبار الواقع الجغرافي والاجتماعي، بحيث احتفظت هذه القوانين بخصوصياتها، المصادرة أحيانًا من الأحكام الشرعية. وأحيانًا أخرى من الممارسات اليومية للسكان. وهذا لا يعني أن المجتمع لم يعرف جملة من الصراعات التي من شأنها الأثر البالغ، فذهنية "الثأر" ساهمت كثيرًا في تقهقر المجتمع وجعله يعيش وسط دوامة من الدماء، فرغم كل ذلك إلا أن "ذهنية الثأر" لم تكن جامدة، بل كانت متغيرة تتأقلم مع المستجدات التي تطرأ على الواقع الاجتماعي. وفي هذا السياق تأثرت كثيرًا بالقيم الإسلامية والأحكام الشرعية التي هذبت الكثير منها، خاصة بعد نجاح الفئة الدينية-المرابطين- من الدخول إلى بلاد زواوة بطرق سلمية، وقد مكنتهم الرسالة الدينية النبيلة التي جاءوا بها في نشر القيم الإسلامية والعلم وثقافة السلم والتآخي والرحمة والتسامح من كسب ود وطاعة السكان، وساعد ذلك على ترقية هذه القوانين العرفية إلى درجة أسمى بكيفية جعلها تتسجم مع مقاصد الشرع. لتجنب وتخفف من هذه الذهنية الخطيرة.

حيث أن هذه الذهنية لا تقتصر على الأفراد فقط وإنما في غالب الأحيان تنتسج لتشمل أطراف أخرى لتخلق ما يطلق عليه "بظاهرة الصفوف" التي هي عبارة عن حزيان متعارضان يسعى كل طرف لضمان الاستقرار. انطلاقًا من نزاعات فردية إلى نزاعات جماعية.

## خطة الفصل الثاني

### ظاهرة الصفوف في المجتمع الزواوي

المبحث الأول: ظاهرة الصفوف: الصف في بلاد زواوة.

المبحث الثاني: نبذة عن تشكل الصف في بلاد زواوة.

المبحث الثالث: تكوين الصفوف في بلاد زواوة

المبحث الرابع: الفئات المؤثرة في الصفوف

عرفت منطقة زاوية ظاهرة الصفوف التي أدت إلى تقسيم الأهالي إلى قسمين متعديان وذلك نتيجة غياب حكم مركزي يحمي السكان من مختلف الاضطرابات والفوضى والتسيب، فأخذ الصف مكانة الحكم نظرا لما فيه من قوانين التي تدير المجتمع .

### 1- ظاهرة الصفوف: الصف في بلاد زاوية

#### 1-1 تعريف الصف: لغة واصطلاحا

الصفّ هو السطر المستقيم<sup>1</sup> حيث وردة كلمة الصف في القرآن الكريم، قال الله عز وجل: في صورة الصافات " والصافات صفاً"<sup>2</sup>، قيل الصفات: الملائكة مصطفون في السماء يسبحون الله تعالى وقال في نفس السورة "وإنا لنحن الصافون" قال: وذلك لأن لهم مراتب يقومون عليه صفوفاً، وهنا قال الأعرابية لبنينها: إذا لقيتم العدو فدغرى لا صفا، أي لا تصفوا صفا وفي نفس السياق يقول الأزهري إن الصف هو المواضيع الذي تجتمعون فيه، أما ابن عرفة يقول في هذه النقطة: يجوز أن يكونوا كلهم صفا واحداً، ويجوز أن يقال في مثل هذا صفا يراد به الصفوف، فيؤدي الواحد عن الجميع<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علي بن هادية ، بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحي، القاموس المدرسي، الشريكة الوطنية للكتاب الجزائري، د ت، ص 306.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، الآية 1 من سورة الصافات، ص 45

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 2462.

- صف القوم صفا، إذا امتدوا زردقا واحدا في صلاة أو حرب<sup>1</sup>.

- الصفَّ القومُ صفاً: انتظموا إلى الصفِّ واحد وهذا ما جاء في التنزيل الحكيم: "إن

الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص " <sup>2</sup>.

أما من الناحية الاصطلاحية فإن كلمة الصف تدل على بنية اجتماعية ليست مقصورة على البربر وحدهم فهي تختلف من حيث التسمية فمثلا نجد لدى المغرب بمصطلح اللفوف تعني الغلاف، فكل التجمعات السكانية لا نجد هذه الصفوف مماثلة مع بعضها البعض، ولا بنفس المظهر لأن المجتمعات التي يتكون فيها مختلفة من حيث الطبع، والصفات...<sup>3</sup>

حيث أن هذا الاختلاف لا يكمن في التسمية فقط، فالصفوف التي نلقاها في جنوب

تونس تختلف عن التي نلقاها في منطقة زواوة، فكلها ليست على قدر واحد من الاتساع والإشعاع<sup>4</sup>.

ويعتبر الصف حزب سياسي داخلي إن صح التعبير فهو الذي يجمع بين القبائل

والقرى في صف واحد وذلك من أجل الاتحاد ضد أي خطر أو صف عدائي له<sup>5</sup> لكن هذا لا

يمنع للوجود الدائم للصفوف الداخلية التي عرفناه من قبل، التي قليلا ما تكون جاهزة للصراع

مع الصفوف الأخرى التي تجاورها، بالقدر الذي تكون فيه على استعداد تام للتصدي للعدو

<sup>1</sup> أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، كتاب همزة اللغة، د ط، ج 1، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دت، ص 142.

<sup>2</sup> مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 517.

<sup>3</sup> غابرييل كامب، المرجع السابق، ص ص 374-375.

<sup>4</sup> نفسه، ص 376.

<sup>5</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 108.



الأجنبي، مع وضع اليد مع أختها العدو حسب المقولة التي الآتية: "أن ضد أخي، أنا وأخي ضد أبناء عمي، أنا وأخي وأبناء عمي ضد العالم الخارجي" <sup>1</sup>.

فهو عبارة عن أنظمة تحالف قائمة على الثنائية، تقسم العرش والقرية أحيانا إلى فريقيين متصارعين: الصف الأعلى (صف أوفلا) والصف الأدنى (صف وادا)، حيث إن هذه الثنائية لا تعرف الاستقرار لأنها أحزاب متنازعة فيما بينها <sup>2</sup> ونجد العداوة البغضاء بين هذه الصفوف ولا نكون على دراية لأسباب عداوتها <sup>3</sup> لأنها تقوم على قاعدة جوهرية التي تحكم العلاقة بين أعضاء الصف هي "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما" بمدلولها الحرفي <sup>4</sup>.

### 1-2 مفهوم الصف في منطقة القبائل

يعد مفهوم "الصف" (الحلف) إحدى الخصائص التي ميزت بلاد الزواوة في الماضي، وهو مفهوم اجتماعي له دلالة التعاضد من أجل الحماية وشكل من أشكال التحالف في إطار الثنائية، على المستويين القرية والعرش (الصف الأعلى والصف الأدنى/صف أوفلا صف وادا)، فلو أن المنظمة الاجتماعية وفرت الحماية الكاملة للأشخاص ومصالحهم بدون شك لا تقلص دور الصفوف إلى دور متواضع <sup>5</sup> حيث أسست هذه الثنائية على أسس مختلفة، قد تكون طبوغرافيا (الصف الشرقي - الصف الغربي) كما هو الشأن في عرش آث واسيف، أو (الصف الأوسط-الصف الأدنى) لدى عرش آث بونزار وكما يمكن أيضا أن تتشكل هذه الثنائية على أساس الزعامة مثلما هو الأمر لدى عرش إيواضين، (صف الحاج بوجمعة

<sup>1</sup> Julie liorel, *la kabyle du jurjura*, op.cit, p 339.

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس- الجزائر- المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، د ط، مؤسسة تالانت الثقافية، 2011 م، ص 69.

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، 108.

<sup>4</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص ص 12-21.

<sup>5</sup> Julie liorel, *kabyle du jurjura*, op.cit, pp 338-339.

صف دا عمر ناث عمارة) وهي شخصية بارزة ومشهورة لها قوة وقيمة في تلك المنطقة، ويكون من أب العائلة الكبير الجد أو الأب سواء كان ميت أو حي وهذا لا يعني دائما أنه يبقى على حاله فقد نجد صراع بين أبناء البيت الواحد وهذا يؤدي بهم إلى الانفصال لصفين مختلفين؛ فعلى سبيل المثال نجد آث أفذال انقسموا إلى صفين: الأول منه سمي ب: آث محمد، والآخر ب آث لهاذي.

فنجد عن زاوية أسماء صفوف متنوعة ومختلفة منها، صف شراقة، صف غرابة (من الشرق إلى الغرب)<sup>1</sup>.

ويمكن لصف أن يتسع ويشمل أطرافا أخرى في القرى المجاورة وذلك بفعل الرشوة عندما يشعر أعضاء الصف بضعف فيقومون بتغيير صفهم<sup>2</sup> ففي القديم وجدت صفوف وهي خطوط حقيقية أين تكون فيها الأعراش بغرض الدفاع والهجوم<sup>3</sup>.

إن الصف عند القبائل مناف لفكرتي الحق والعدالة، فالقاعدة السائدة بين الأعضاء مبنية على مقولة:(وينيك عيونث يظلم نغ مظلوم /ناصر أخاك ظالما أو مظلوم) لكن ليس بمعناها الإسلامي الايجابي، لأن الصف يقوم على التعصب الأعمى لذوي القربى وليس على الحق والعدالة، فبمجرد حدوث مناوشات صغيرة بين شخصين ينتميان إلى صفين مختلفين يمكن أن تنتهي بالحرب وذلك بعد انتصار كل صف لصاحبه، أما المهزومون يفرون بعائلاتهم من قريتهم طلبا اللجوء لدي أعضاء صفهم في قرية مجاورة حيث يتم التخطيط للاغتيالات وذلك من أجل توجيه ضربات موجعة للعدو ويتم من طرف أعيان

<sup>1</sup> Charles Deveaux, **les kabailes du djurdjura**, Marseille Camoin frères, libraires, éditeurs, paris, 1859, p 38.

<sup>2</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي ....، المرجع السابق، ص 103.

<sup>3</sup> Julie liorel, **la kabyle du jurjura**, op.cit, p 339.

الصف الذي يتكفل بأموال التي يأخذها القاتل عند إنجاز مهمة ما، والمعروف لدى القبائل أن ارتكاب الجرائم هي مصدر رزق لأناس آخرون حيث يوجد مكان مخصص لهذه العمليات في الأسواق الأسبوعية<sup>1</sup>.

## 2- نبذة عن تشكل الصف في بلاد زواوة

ظهرت الصفوف في بلاد زواوة من خلال الظروف التي كانت تعيشها المنطقة من صراعات والاضطرابات سواء السياسية أو الاجتماعية فبرز هذا الأخير (الصف) للتخلص من النزاعات والحروب وذلك من خلال تثبيت التماسك بين أفراد المجتمع ومن هما نستعرض أهم الأسباب التي أدت إلى تشكل هذا النظام القائم على نظام التحالف.

### 2-1 أسباب ظهور الصف:

ترجع أسباب ظهور تشكيلة "الصف" إلى عدة عوامل مختلفة عسكرية وتاريخية ميزت ظهور التحالفات الكبرى في منطقة الزواوة، خاصة أثناء حدوث الحروب والنزاعات، لكون الحالة السياسية والاجتماعية لهذه التشكيلات تحتاج إلى الوحدة والتماسك لمقاومة جو العنف وحالة عدم الاستقرار بسبب الصراعات والنزاعات السياسية العديدة التي شاهدها منطقة زواوة خاصة القرن 19م<sup>2</sup> ولكن يجب أن نميز بين مجموعة الناس الذين نسميهم الصف والذين سكنوا منطقة معينة من مناطق زواوة متقاربين لبعضهم البعض، فوجودهم نتيجة الظروف الحياتية. وتشكل التركيبة السياسية والاجتماعية للمنطقة أساسا من مجموعة من القبائل التي تتمتع باستقلالية قانونية عن غيرها، بحيث تكون هذه الوحدات الاجتماعية

<sup>1</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي...، المرجع السابق، ص 103-104

<sup>2</sup> مبروك موهوب، التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل وأثره في صمود سكانها ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتجة فيها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المقاومة الوطنية والثورة التحريرية (1830-1962)، جامعة الجزائر -2-، بوزريعة، الجزائر، 2010-2011م، ص48.

تنظيمات سياسية تحكم نفسها كسائر المناطق والدول المختلفة، وغالبا ما تتجمع هذه القبائل والأعراش المنعزلة ببعضها البعض لتشكل وحدات اجتماعية وتنظيمية تتحالف من أجل تحقيق مصالح سياسية ودفاعية، وهذا خاصة في مرحلة ظهور الصفوف، أين تتوحد مجموعة من القبائل والقرى في نفس التركيبة الاجتماعية والسياسية للدفاع عن أهداف ومصالح مشتركة، بمعنى أن التحاق بنفس الصف يعني الانتماء إلى نفس الخط والمصالح والأهداف<sup>1</sup>، فلا بد عليهم الانخراط من أجل التعايش مع الغير لأنه لا يستطيع مواجهة تحديات الحياة خاصة أمام مكان جديد بالنسبة له<sup>2</sup> وهنا حدث هذا الأمر بمحض الصدفة؛ فمثلا انتقال فرد أو عائلة معينة إلى مكان معين، للتعايش مع الأعراش الأخرى وشكل معهم مجموعة، ومجموعة من الأسر شكلت صف<sup>3</sup>.

إن بطبيعة الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، فنجده يعيش في حيز جغرافي يشاركه مع أناس كثر كما له جيران من خارج هذا الحيز، ومن المستحيل أن تكون كل العلاقات التي تربطه مع الآخرين حسنة فحتى لو طالة هذه العلاقة الجيدة سوف يأتي يوم أين يكون هناك صراع وتولد الكراهية بينهم، نتيجة التكاثر السكاني في مثل هذه المناطق الضيقة للقرى<sup>4</sup> وعلى هذا الأساس، فالحتمية الاجتماعية التي أنتجها الواقع المتحول باستمرار جعل من القرى والأعراش القبائلية تتميز ببنية اجتماعية وسياسية خاصة، تتطلق أساسا من الوحدة المتماثلة في الأسرة إلى القرية كنموذج كامل، ثم العرش كوحدة تشتمل مجموعة من القرى<sup>5</sup> حيث تجتمع هذه القرى بطريقة مختلفة على معالجة

<sup>1</sup> P- Bourdieu, **Sociologie de l'Algérie**, Ed p. U. f, Paris, 1985, p 86.

<sup>2</sup> Charles Deveaux, **les kabailes du djurdjura**, op.cit, pp 37-38.

<sup>3</sup> Ibid, pp 37-38.

<sup>4</sup> Julie liorel, **la kabyle du jurjura**, op.cit, p 339.

<sup>5</sup> مبروك موهوب، المرجع السابق، ص48.

القضايا السياسية أو مشكلة ما لحلها، وفي نهاية الاجتماع يخرجون بأراء مختلفة حول القضية المدروسة، فالقرى أو الأشخاص الذين خرجوا برأي متحد يشكلون صفا، والرأي المعارض الآخر يشكل صفا آخر كل يمشي على حسب ما تتواجد مصلحته،<sup>1</sup> وتعتبر سبب من أسباب بروز ظاهرة الصف وذلك نتيجة انقسامها إلى بطون وعشائر وأفخاذ ولها فروع تعيش في الشمال والجنوب وأخرى في الشرق والغرب، وقد تسبب هذا الانتشار ونظام الحال والترحال في العديد من الخلافات والنزاعات وحتى الحروب الدموية أحيانا بسبب الأرض، مما أدى إلى ظهور علاقات الحرب والسلم وظهر نظام الأحلاف بين القبائل مع الاحتفاظ بحرية القبيلة،<sup>2</sup> وهو ما أدى إلى فشل جميع محاولات التوحيد بالتبعية وهذا ما يسميه الباحثون الفرنسيون بخاصية "الصف" وهي خاصية انقسامية ظهرت لدى المجتمع البربري منذ القدم. وقد اعتبروها خاصية سلبية لم تمكّن لوجود دولة مركزية في شمال إفريقيا. لتسببها في وجود صراعات وصدّامات لكن في الواقع هذا النظام اللامركزية ليس نظاما همجيا متوحشا بل إن نظام الأحلاف أدى إلى ظهور سلطة مركزية يمثلها الملك ولقد كانت ملكية حرة لم تكن فيها عبودية معمرة ولا إقطاع وهو نظام له مفعول خطير حيث يجعل الصراعات متحكمة في المجتمع، ففي الكثير من الأحيان قد تتحول مناوشات صغير بين شخصين ينتميان إلى صفين مختلفين إلى حرب جماعي متصل زمانيا وممتد جغرافيا، توظف فيه جميع إمكانات الفريقين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Daumas et Fabar, **la grande kabyle**, op.cit, p 44.

<sup>2</sup> محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة التاريخ (عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ)، د ط، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 236-237.

<sup>3</sup> محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي، المرجع السابق، ص ص 103-104.

كانت هذه الظاهرة تعكس على الأرجح أحد البدائل الاجتماعية لغياب حكم مركزي قوي يضمن التوازن ويفرض الاستقرار، ويحفظ المجتمع من الفوضى<sup>1</sup>.

كما أن العصبية سبب من أسباب ظهور الصفوف فهي ظاهرة بدوية صرفة جوهرها النسب الذي يجمع كافة أعضائه، وتحثهم على الالتحام والوثام والمدافعة عن كرامة وقيم القبيلة وشرفها، فهي عامل موحد بين أعضاء القبيلة الواحدة وعامل مفرق بين الأنساب المتباينة في انحدارها الاجتماعي وأصالتها في المجتمع البدوي<sup>2</sup>.

فالعصبية تحمل الأفراد لتناصر والتعاقد في المدافعة والمقاتلة والتعاون والتماسك للحماية كما تعد محرك الصراع في الحياة الاجتماعية والسياسية بين القبائل من أجل العيش والسيادة والمال والغذاء<sup>3</sup> كما أنها تقوم على جماعة قليلة العدد (تتمثل في أفراد من أسرة أو أكثر) داخل القبيلة أو العشيرة<sup>4</sup>.

## 2-2 - الروايات التاريخية لأصل الصف.

من أهم الروايات التي توصلنا إليها من خلال الكتاب الغربيون ومن أبرزهم هانوتو الذي أسند ظاهرة الصف إلى حدث تاريخي وهو أن أمير آل القاضي بجرجرة الذي عاش قبل عمر أولقاضي كانت بلاد القبائل مقسمة إلى رابطتين كبيرتين باسم صف أوفلا (الصف الأعلى) وصف بوادة (صف الأسفل). وتوجد قصص كثيرة عن أصل هاتين

<sup>1</sup> مصطفى سعداوي، الولاية الثالثة في الثورة الجزائرية: التاريخ الاجتماعي للقرى الثائرة، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2018، ص 84.

<sup>2</sup> علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، نظرية العصبية قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون، مجلة كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس (آذار) 2011م، ربيع أول 1432هـ، ص ص 18-20 .

<sup>3</sup> نفسه، ص ص، 18-20.

<sup>4</sup> حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)، د ط، دار البعث للنشر والطباعة والتوزيع، د ت، ص ص 23-24.

الرابطين"، لكن هناك اتفاق حول أصلهما الذي يعود إلى رجل يدعى سيد عامر القاضي، الذي كان في القرن السادس عشر في آث فوسن أخوان أحدهما يدعى بوختوش، والأخرى يسمى أورخو، كانا ينتميان إلى العائلة التي صار سيدي عمار القاضي ممثلا لها، حيث نجد نفس الحكاية لدى (Lioren) كان يقطنان جبل فيوان، أعالي جمعة الصهريج، وإثر مجادلات غير معروفة الأسباب اختلفا وافترقا، وعلى اثر ذلك ظل بوختوش يقيم في جمعة صهريج، وأورخو رحل إلى إفناين وما لبثت الحرب أن اندلعت بينهما، ومن هنا نجد أن القبائل انحازت إلى طرف من الأطراف، ومن هنا أنشئت هاتين الرابطين التي دامت مع القرون الموالية فالمتحالفون مع أورخو أسسوا صف أوفلا، والمتحالفون مع بوختوش بدورهم أسسوا الصف بوادة ولا تزال عائلة بوختوش موجودة إلى اليوم في جمعة الصهريج حيث تشكل خروبة كبيرة تسمى ايبوختوشن. أما عائلة أورخو فلم يعد يمثلها غير فرد واحد يقيم عند آث إفناين،<sup>1</sup> لا يزال قسم من القبائل التي كانت تتشكل منها الرابطتان المنحلتان اليوم، تدفع إتاوات لأحفاد بوختوش. ويتخذ القبائليون من هذا التقليد دليلا قاطعا على صحة القصة المذكورة.<sup>2</sup>

يمكن القول أن القرية القبائلية تنقسم، مثلما هو الأمر في المدن، إلى معسكرين متعادين وكانت عداوتهما صارمة ومتوارثة خلفا عن سلف<sup>3</sup> بخصوص أصل الصف لا نستطيع أن نقول أو نفسر أو نوضح في هذا السياق أكثر مما قاله هانوتو ولوتورنو في هذا الصدد، فأصل هذه الصفوف القبائلية والأسباب التي جعلتهم يحافظون على استمراريتها عائد

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 18-19.

<sup>2</sup> Julie liorel, *la kabyle du jurjura*, op.cit, p340.

<sup>3</sup> هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، د ط، ج 2، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص ص 143-144.

إلى حسابات عديدة في كل ما يخصه ويجعله دائم، فحقيقة الصفوف لا نجدها في التاريخ السياسي له بل في البحث في جوهر الإنسان<sup>1</sup>.

### 2-3- بعض التفسيرات الغربية:

النظرة الغربية نظرة سطحية لم تستطع فهم ظاهرة الصفوف فقدمت مثلاً مجافي للحقيقة ومنافي للواقع حيث اعتبرت الصراع بين "القط والكلب" في قرية قبائلية، صراعاً من هذا النوع يعود إلى سبب صبياني يؤدي إلى تكوين حزبان أحدهما يدعى إن الكلب يجب أن يقتل القط عضاً، ويرى الآخر أن القط يجب أن يخنق الكلب، فتقع معركة، وما دامت الدماء أن سالت فإن الميل إلى الأخذ بالثأر يجعل النزاع متوارثاً. وتقتصر الصفوف في بعض الأحيان على المنطقة التي نشأت فيها ولكنها سرعان ما تنتشر لتشمل كامل الإقليم وتجعل سكنيها شرطين متعادين<sup>2</sup>.

وبالإضافة إلى هذه الأخيرة كان هناك مرابط مجل جداً يدعى "سيدي قالي" كان يسكن عند بني جليل، وقد حدث خلاف كبير بينه وبين زوجته التي كانت هي الأخرى امرأة قديسة، فخرجت هذه الأخيرة من بيتها لتطلب الحماية والانتقام عند أهلها، فحلفوا فيه وهددوه بالطرد من البلاد، وبدوره هذا الرجل طلب الدعم من عائلته سواء القريب منه أو القريب، وكل واحد شكل مجموعة إلى مجموعة من بجاية إلى حمزة مروراً بوادي الساحل وهنا شكل صفه الخاص الذي أطلق عليه بالصف الفوقاني، وصف امرأته أطلق عليه ب الصف التحتاني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Julie liorel, **kabyle du jurjura**, op.cit, pp 338-339.

<sup>2</sup> هانريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 144.

<sup>3</sup> Charles Deveaux, **les kabailes du djurdjura**, op.cit, pp 38-39.



بغض النظر عن صفوف أخرى هناك بعض منها مهمة جداً أين كانت الأولى من حيث النشأة والوجود الذي يعود إلى زمن بعيد، وتكوينهم كان نتيجة تسلسل مجموعة من الأحداث، الرجوع إليها شيء غير ممكن، لأنه قد يمس بالأمن العام. فمن النظرة الأولى خلال إطلاعنا على هذه الصفوف يظهر لنا أن ما يقومون به شيء مبهر، ولكن في الحقيقة ومع الدراسة المعمقة في جذورهم التاريخية سيتضح لنا ما يحدث وما تخفيه هذه الصفوف.

## 2-4 النظرية الانقسامية:

المجتمع الانقسامي هو الذي ينقسم إلى وحدات تنتسب لسلف بعيد، ويرتبط بعضها ببعض بروابط القرابة، فالقبيلة الكبيرة تنقسم إلى العشائر التي تنقسم بدورها إلى أفخاذ وتعيش كل واحدة في إقليم خاص بها وتمارس فعاليتها الاقتصادية بحرية، مستقلة عن الوحدات الأخرى، ولا تخضع في حياتها السياسية إلا لسلطة رئيسها المباشر، وذلك فليس في المجتمع الانقسامي سلطة موحدة<sup>1</sup> حيث تنشأ داخل هذه القبيلة تحالفات نتيجة التحالفات هي التي تنشأ داخل قبيلة الواحدة نتيجة لتنافس زعماء العشائر أو النزاعات التي تقوم بين العشائر مثلاً: "أنا ضد أخي أنا وأخي ضد علي ابن عمي، أنا وابن عمي ضد علي الغريب"<sup>2</sup>.

## نقد النظرية الانقسامية:

فالصفوف تفرق بين قبيلة و قبيلة قريبة منها ، وتفرق بين نصف قبيلة ونصفها الأخر، وبين البيت والبيت المجاور له، وبين أسرة وأسرة بينهما قرابة أو كانت بينهما صداقة

<sup>1</sup> مصطفى سليم (شاكور)، قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت، الكويت، 1981م، ص 860.

<sup>2</sup> محمد حدادي، القبيلة الأحزاب والانتخابات في ظل التعددية في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص انثروبولوجيا، جامعية أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013-2014 م، ص 150.

قديمة ، بل إنها لتفرق في اغلب الأحيان بين الأب وابنه والأخ وأخيه.<sup>1</sup> وفي هذا السياق، قد يستأنس البعض بالتصور الانقسامي Segmentariste الذي يرجع حفظ النظام في المجتمعات الريفية المغاربة (من ضمنها المجتمع القبائلي) إلى لعبة الصراع بين أقسامها . بيد أن المتمعن في جدلية "الصفوف"، سرعان ما يدرك أنه من العصي بمكان فهمها من المنظور الانقسامي، لأن خريطة "الصفوف القبائلية" لا تحترم البتة منظومة الأقسام المتصارعة كما تقرها النظرية الانقسامية، فهي ليس فقط، لا تتطابق مع نموذج الدوائر المتحدة المركز القائمة على قاعدة تدرج روابط القرابة، التي يعبر عنها-حسب كلنير Gilner-المثل العربي القائل: " أنا ضد أخي، أنا وأخي ضد أبناء عمي، أنا وأخي وأبناء عمي ضد العالم الخارجي"<sup>2</sup>، بل أنها تخترقها بشكل عرضاني؛ إذ كثيرا ما يحدث أن تنقسم قرية أو عشيرة بل حتى عائلة واحدة بين صفيين مختلفين ومتصارعين فيما بينهما<sup>3</sup>. وهو ما يؤدي إلى تهاوي أحد أهم دعائم الطرح الانقسامي، ونعني بذلك التصنيف التعسفي للمجتمع القبائلي ضمن النموذج الدوركايمي للمجتمعات المتضامنة "تضامنا آليا" قائما على عامل القرابة، والمتميزة بتمحور كل مظاهر الحياة فيها حول العلاقات العائلية، مع غياب تام للمؤسسات السياسية<sup>4</sup>.

ومن ثم فهذا الاستبعاد للطرح الانقسامي، يترتب عنه -بالضرورة- الإقرار بالصفة السياسية لمؤسسات المجتمع القروي (القبائلي) كـ "الصف"...وبالأخص "تجماعت" التي كانت تملك فضاء ثابتا، وهوية محددة، و"موظفين" معروفين (أمين، طمان، لوكيل، براح...)،

<sup>1</sup> هانريش فون مالتسان ، المصدر السابق، ص 143-144.

<sup>2</sup> مصطفى سعداوي، المرجع السابق، ص84.

<sup>3</sup> « l'évolution de Djemaa dans la C.M. de fort National 1857-1947 », p 6-7, in Archives CAOM S3(13-3).

<sup>4</sup> مصطفى سعداوي، المرجع السابق، ص 85.

وصلاحيات واضحة، وبنائية خاصة الخ...<sup>1</sup> وهنا لنا أن نتساءل مع روبرتيس - إذا لم تكن هذه الأخيرة مؤسسة سياسية فماذا تكون إذن؟ الإجابة واضحة. لكن -في المقابل- ألا يستدعي استبعاد مسلمات النسق "الانقسامية" كمفتاح لتفسير مؤسسات المجتمع القبائلي، البحث عن تفسير بديل؟

في الواقع ذلك الاستبعاد، إنما يحررنا من تلك النظرة السكونية إلى مجتمع، المتسمة بصلاصة وجمود بالغين، تحت مظهر خداع من الحركية العارمة. ومنه يقود إلى رفع ستائر الغموض التي أسدلتها تلك النظرية على مراحل تاريخ المنطقة، لتبرز أمامنا قوى التغيير العميقة التي ما برحت تزخر بها. وهو ما يحتم علينا إعادة النظر في ذلك التصور الجامد والشائع حول أصول ثجماعث الموغلة في ليل الأزمنة إلى حد يوحي بكونها مؤسسة "فوق-تاريخية" - تقع خارج الزمن، على الرغم من تنفيذ كل الشواهد لذلك<sup>2</sup>.

وعليه، فنلك المؤسسات القروية هي -بكل تأكيد- تجسيد لديناميكية تاريخية محددة، بعبارة أوضح هي نتاج تفاعل بين معطيات الجغرافيا من نحو، وتقاليد المجتمع وثقافته من نحو آخر، بحيث تكون الأولى قد دفعت السكان إلى الاتحاد لمواجهة تحديات البيئة، بينما تحكمت الثانية في مضمون وشكل ذلك الاتحاد، وكان ذلك لابد وإن يكون قد جرى في مرحلة تاريخية محددة لها مميزات ومقتضياتها. وبهذا الخصوص، وتتضافر الكثير من قرائن على تحديد هذه المرحلة بأواخر العهد الحفصي في بجاية، لما اتسم به الحكم المركزي - إبانها من ضعف شديد ولد حاجة ماسة في المنطقة إلى منظومة لامركزية بديلة. وما يبين هذا الطرح عدة شواهد أبرزها:

<sup>1</sup> مصطفى سعداوي، المرجع السابق، ص 85.

<sup>2</sup> عبد الله العروي، "تعد الأطروحة الانقسامية"، في ليليا بنسالم وآخرون، المرجع السابق، ص ص 27-31.

المصطلحات المستعملة على مستوى مؤسسات القرية القبائلية على غرار: ثجماعث (الجماعة)، الأمين، الطامن (الضامن)، القانون\*، لوكيل الخ... معظمها كلمات عربية برمزية دينية (إسلامية) قوية، وبحكم الترابط الوثيق (العضوي) بين الدال والمدلول، فمن المستبعد أن تكون تلك المؤسسات قد ازدهرت بعيدا عن الجو التاريخي -الثقافي- الذي سادت خلاله تلك المصطلحات.

يعكس فحوى القوانين العرفية القبائلية تأثير الشريعة الإسلامية ورسوخها على صعيد الجماعات القروية القبائلية، وأما ما يبدو من تعارض بين الشرع الإسلامي والعرف القبائلي، ما هو -في الواقع- سوى إعادة تأويل لبعض تفاصيل تلك الشريعة لمسايرة الواقع المعاش<sup>1</sup>.

### 3- تكوين الصفوف في بلاد زاووة

إن كثرت النزاعات في بلاد زاووة أدت إلى تقسم القرى صفان مختلفان من حيث التعداد ووسائل العيش لكن الشيء الملفت في هذه الصفوف كيفية تشكلها؟ أو بصيغة آخر هل هذه الصفوف تكونت من تلقاء نفسها أم حسب الظروف الطبيعية والسياسية والاجتماعية؟

### 3-1 كيفية تشكل الصفوف:

ما هو معروف على القرية القبائلية أنها مقسمة إلى قسمين ونادرا ما يتساوى هذا الانقسام من حيث العدد والإمكانيات وسط هذا المجتمع الفظ المندفع دائما إلى العنف

\* بخصوص مصطلح "القانون"، اعتقد الكتاب الفرنسيون الأوائل أن هذا المصطلح إغريقي الأصلي (kanon)، انتقل إلى الأمازيغ مع الديانة المسيحية، وهكذا كتب دوماس وفابار سنة 1847م في مؤلفهما الشهير حول القبائل الكبرى ما يلي: « Ces statuts portent un nom qui conserve admirablement le cachet de leur origine chrétienne, ils s'appellent Kanouns » in La grande kabylie, p.76.

<sup>1</sup> مصطفى سعداوي، مرجع سابق، ص 87.

واستخدام القوة، فيكون الحزب الأضعف إذا ما ترك لأمره ضحية في كل مرة للقانون الأقوى أو مجبور على ترك البلاد، ومن أجل تفادي الأمر فمن الطبيعي أنه يسعى إلى إقامة تحالف مع صف آخر من قرية مجاورة، وبهذا يتوسع الصف فيمتد إلى القبيلة، ثم الاتحادية وحتى إلى قبائل غربية على نطاق واسع ويمكن أن تنشأ هذه الصفوف داخل صف واحد وذلك مع مرور الوقت، تتعاضد فيما بينها ويولد حزب نتيجة هذا التعاضد<sup>1</sup> حيث تتراوح العلاقات داخل الصف بين العداء المعلنة والتعاون الحازم خاصة في أوقات الحرب<sup>2</sup>.

من أهم المجموعات التي تشكلت في منطقة زاوية نتيجة الصراعات وهي مجموعات أساسية وسوف نستعرض أهمها كالتالي: مجموعة آث يرائن، وهي تضم آث يرائن، سكان آث يني الزواوة، شطرا من آل عمراوة القاطنين أعالي الوادي، آث فراوسن، آث خليل، آث بوشعايب، آث يحي، آث غوبري، آث دواله، آث محمود، آث عمار أو فايد ومعايقة؛ مجموعة زاوية المتشكلة من أهالي آث واسيف، آث بوعكاش، آث بودرار، آث عطاف، أقبيل، آث بو يوسف، آث منقلات، آث اتسورار، ايمشدالن، ايعكوران؛ مجموعة ايليلتين، ايلولن اومالو، ايليلن اوزمور، آث مليكش، آث ايجر، آث زيكي.

و أخيرا نجد المجموعة التي تضم آث جناد، آث اوقنون، بقايا العمراوة القاطنين أعالي الوادي، آل افليسن ألبجار، ايزرفاون، آث فليق وايعزوقن<sup>3</sup>.

لعل ما نجده في هذه المجموعات هو التضامن السائد فيها، لكن ليس على مستوى كل الصفوف سواء المنتمية إلى القبيلة أو نفس القرية. فعلى سبيل المثال إذا كانت قبيلة ما

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر سابق، ص 12-15.

<sup>2</sup> Mustapha gahlouz, les qanouns kabyles anthropologie juridique du groupenet social villageois de kabylie l'harmattan, 2010, p22.

<sup>3</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 15.

معرضة للنهب والفتنة فمن العادة أن ترسل صفوف المجموعة تشكيلات مسلحة لمساعدة حلفائها. لكن إذا كان أسباب هذا الصراع محلي فهنا الإمدادات تأتي عن طريق الشراء مقابل ما يتفق عليه. أما ما يخص المال والمؤن والذخيرة، فهي تقدم بكل كرم، أما السلاح فإذا تتطلب الأمر الهجرة وتغيير المكان فهنا سوف يجد من أصدقائه كل الاستقبال الحار وحسن الضيافة<sup>1</sup>.

ونقدم مثلا، بلدية سيدي عيش المشتركة مثلا إلى قسمين (seff fella) والجزء السفلي ( seff wadda ). فالصف الأعلى يتكون من : قبائل بني منصور العليا "نية الحسين"، بني اوغلس، بني بوبكر، مليحة، ادجيسا وسنهاجة، كانت جزءا من اتحاد زواوة أو القبائل الكبرى. أما فيما يخص الصف الأدنى فهو يتكون من قبائل بن منصور السفلي (إيكيدباني) وبني اوغليس (آث مزالت وتاوريرت)، بني يميل، مبارك الخطيب جعفر، بارباشا، أولاد عبد العزيز، المبارك فارون، أولاد عماريون وأولاد تازمالت ينتمي إلى اتحاد المسيطرون على واد الساحل، أولاد عبد الجابر، في زمن السلم كل قبيلة استعادت استقلالها وكسور آث وغليس ينتمون إلى صفوف مختلفة وافقت على تشكيل tajma3at واحدة مسؤولة عن تسوية النزاعات المعقدة<sup>2</sup>.

كانت أسر جزائرية كثيرة اعتمدت على العصبية فتمكنت من القيادة والسؤدد في حدود معينة، مثل أسرة آل مقران، وابن عاشور، وبوعزيز بن قانة، حيث تمكنت هذه الأسر من احتواء أسر أخرى، وكونت منها صفا. وتوسعت هذه الأسر إلى أن صارت تضم قرى عديدة، لها هيكلها الإداري مشخصا في "مجلس القرية" الممثل من جميع القرى. وتغلب صفة التعاون بين الأفراد (ذكورا وإناثا) داخل الأسرة أو القرية، فالفرد كذات من الناحية القانونية لا

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 15-16.

<sup>2</sup> La tribu des Ath waghliis entre histoire et legende, p 21.

يساوي شيئاً بالنسبة إلى "الضمير الاجتماعي" ومن ثم كان الفرد من الناحية العلمية وبمصطلح فلسفي "موضوع" بالنسبة "للذات" أي المجتمع<sup>1</sup>.

### 3-2 طريقة انضمام الأفراد إلى الصفوف:

ينتمي الفرد إلى صف معين وذلك حسب مصلحته أين يجد الحماية والمساندة عند الحاجة، إذ يمكن له أن يغيره<sup>2</sup> عندما يلتبس نوع من الضعف من أجل الوصول إلى مبتغاه من الأحقاد والضغائن ولا حرج في ذلك<sup>3</sup>، حيث يمكن لصف أن يكون غني بأفراده وكما يمكن أن يفتقر للأفراد لأن طبيعة الإنسان في تقلب مستمر<sup>4</sup> وهذا الأمر يدفع الصف إلى الضعف والاضمحلال، لأن هذا التغيير يؤدي في أغلب الأحيان إلى صراعات وحرب مسلح فكل هذا يجعل الصف فاقدًا لمكانته بين أعضائه<sup>5</sup> ويحتفظ الصف عادة بتماسكه في فترات السلم، حيث تكون القضايا المعروضة للنقاش لا تتوفر سوى على أهمية ثانوية، وعندما تعم الدسائس، فيحال لحظتها كل حزب أن يفصل عن صف خصومه الرجال المشبوهين غير المنخرطين معه بصورة لا هواده فيها بسوابقهم أو بعلاقتهم العائلية<sup>6</sup> ففي هذه الحالة الصف هو من يعزل الأفراد خاصة في فترة الاضطرابات أو عند قيامهم بأعمال عدوانية<sup>6</sup>.

وعلى غرار ذلك فالصف لا يسعى إلى استمالة الأفراد فقط وإنما إلى جذب حزب بأكمله إلى صف حيث في كثير من الأحيان يكون هناك شخصيات لها أراء ماثرة في

<sup>1</sup> حميدة عميراي، المرجع السابق، ص 25.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 12.

<sup>3</sup> نفسه، ص 12.

<sup>4</sup> Julie Liorel, *la kabyle du jurjura*, op.cit, p 338.

<sup>5</sup> بلبروات بن عتو محمد، المدينة والريف في الجزائر في أواخر العهد العثماني، د ط، ج2، كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016م، ص 576.

<sup>6</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 12.

المجتمع، فيقومون بإغراء الآخرين بالهدايا المالية، وغيرها من الإغراءات، أو حتى معاونات، فنجد الطماعين يتهافتون لذلك فيخدعون صفوفهم وينتقلون إلى الصف الذي يقدم أكثر الإغراءات<sup>1</sup>.

تكتل كل القبائل هو الذي يواجه الغزو الفرنسي، لا نستطيع أن نقول عنهم أنهم صف لأن في هذه الحالة الدفاع يكون مشترك ضد غزو أجنبي يهدد كامل البلاد، أما الصف فأهدافه الدفاع عن حيز جغرافي معين يخص مجموعة معينة<sup>2</sup>.

من كومة الأساطير التي تحكي عن موضوع الصفوف الكبيرة، هناك دائما صعوبة في استخراج الحقيقة مهما حصل، ومن خلال دراستنا لها نستطيع أن نقدم لنا خدمات جيدة وممتازة، وتقدم لنا صورة عن حياة أجدادنا<sup>3</sup>.

فعلى حسب Liorel الذي أطلق على الصف اسم المنظمة لأنها منضمة داخلها بشكل جيد من كل الجوانب سواء الشكلية أو الجوهرية؛ فهذه الأخيرة وجدت منذ عدة قرون في منطقة القبائل، التي تزامنت مع الحروب والمقاومة المتواصلة خلال تلك الفترة في هذا البلد فهذا الصف نجد فيه عند الاقتضاء كل المساعدات والحماية النفسية للتغلب عن العدو. إذ هو الذرع الحامي للإنسان من كل الأخطار التي سوف تواجهه. فهو "الصف" لا يترك أبدا أعضائه دون عون، حيث يقوم بالدفاع والانتقام والثأر لهم، واسترجاع حقوقهم المسلوبة، إذ كان في خطر ومصالحه مهددة.

فالقبائلي يلتمس مساعدات تلقائية من كل أعضاء صفه عن طيب خاطر دون طلب ذلك عندما يحس أحدهم بأن آخاه في الصف يحس بالضعف والعجز وذلك بتقديم

<sup>1</sup> Charles Deveaux, **les kabeiles du djurdjura**, op.cit, p 40-41.

<sup>2</sup> Ibid, p 41.

<sup>3</sup> Ibid , p 42.



المساعدات سواء كانت مادية أو معنوية. كما يكون هو الآخر مرتبطا بصفه بصفة رهيبه إذ يكرس كل جهده ووقته وحياته وحتى عائلته في كل ما يخص صفه لدرجة أنه ينسى نفسه<sup>1</sup>.

### 3-3-آلية وسيرورة عمل الصفوف:

بعض القرى تنتقل من صف إلى آخر، تارة لرغبة شخصية و تارة أخرى بسبب الظروف السياسية التي يعاني منها الصف الذي تنتمي إليه، نتيجة حالات استثنائية(ما بين الضعف والقوة، الغنى والفقر...الخ) فالشخص هنا أين يجد مبتغياه يرسي هناك، فحسب المؤرخ دوماس وفابر فإن منطقة القبائل من الناحية السياسية تشبه (سويسرا البرية)، بحيث تتكون من قرى حرة كل واحدة عن الأخرى، وهذا فيما يخص على الأقل القانون، فنجد كل واحدة تحكم نفسها بنفسها، كأنها بلد قائم بحد ذاته، أين هذا الاتحاد ليس لديه طابع دائم ولا حكم رئيسي<sup>2</sup>.

الحالة الأخرى يتم التغيير من صف لآخر بسبب المال (أي عن طريقة الرشوة لكسب أكبر عدد من الحلفاء للتغلب على الصف الآخر). وفي هذه الحالة هذه القرى الطماعه تكوم مدمومة من طرف القرى الأخرى، ومجموعة من القرى المشابهة لها(قرى طماعه) تتحالف فيما بينها لتشكل صفا خاص بها<sup>3</sup>.

هناك بعض الصفوف الطارئة وغير دائمة، كما يتواجد عكس ذلك فنجد صفوف دائمة تدوم لعدة قرون، فنجد هذه الصفوف موجود إلى يومنا هذا، إذا ما كان الخطر عويص وكبير والكل معني به مثل الغزو المسيحي للمنطقة يدعى من طرف المرابطين بالجهاد المقدس، فهنا تتشكل الصفوف من تلقائي نفسها للدفاع والتصدي للعدو المشترك، وفي هذه

<sup>1</sup> Jules Liorel, **kabyle du jurjura**, op.cit, p 338.

<sup>2</sup> Daumas et Fabar, **la grande kabyle**, op.cit, p 44.

<sup>3</sup> Ibid, p 44.

الحالة القبائل يشكل إلا صفا واحدا له هدف وتفكير واحد وهو منع تغلغل العدو خاصة وإذا عرفوا أنه يمكن الاستيلاء على أماكن مختلفة، لكن ما يعيب عليه في هذه الحالة هو تغلب الأناية و المنافسة والعصبية والأنا التي تكونان عائقا في سيره بطريقة جيدة، ودائمة<sup>1</sup>.

### 3-5- مميزات الصف :

يستعمل الحزب مختلف الطرق والأساليب من أجل استمالة الأفراد إليه، والتي تعتبر شي من الإغراء منها، كيس من التين، مؤونة من الزيت، بل حتى عشاء جيد، ناهيك عن بعض الدريهمات، كلها أمور تجعل الصف يتدعم بعضو جديد، الذي بدوره ينخرط في الصف بكل جوارحه إذ يصبح الصف شرفه ومصالحه شغفه وهمه الوحيد والدائم ففي سبيله "يهمل كل شؤونه الخاصة ويفك روابطه العائلية رغم طابعها المقدس بالنسبة له، ويعرض نفسه للموت عن طيب خاطر لا يكثرث لا بالقانون ولا بالعدالة<sup>2</sup>.

الصف من ناحيته لا يتخلى عن أعضائه فإذا ما توفي أحدهم في سبيله يتم تبني أبنائه وإعالتهم وكذا رعايتهم بالإنفاق المشترك وإذا ما كان فقط موضع خطر أو أن مصالحه مهددة، أو تعرض للاهانة في شرفه، يتعين عليه الثأر له، فتأتيه المعونات من كل نوع دون طلبها فهذا الأمر معتاد عليه في كل صف بعدم ترك أعضائه<sup>3</sup> أما فيما يخص المهاجرين أو ما يسمى ب (ايمقاجن)، فهم لا يطلبون اللجوء بل يتم التوجه إليهم مع الفرق الموسيقية وسط احتفالات صاخبة ورايات عالية " كما تقدم المطايا للنساء والأطفال والعجزة " ومن هنا يعود ركب الاستقبال مع ضيوفه مع طلاقات البارود ومع وليمة فائضة ومن ثم يختار المهاجر البيت الذي يقيم فيه مع عائلته، أما رب البيت الذي يرفض استقبال عضو من

<sup>1</sup> Daumas ( le général), **Mœurs et coutume de l'Algérie**, Librairie de L.Hachette et Cie, Paris, 1853, pp 192.

<sup>2</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 13.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص14-15.

الصف ففي هذه الحالة سوف يثير هيجان الرأي العام وسوف يتعرض لغرامة مالية"، وعندما يعود السلم، تمنح كل عائلة من العائلات التي تكون قد استقبلت مهاجرين هدايا لضيوفها تتمثل في ملابس جديدة للنساء والأطفال، وأدوات منزلية وموئن تتعلق بالحاجيات الأولية، ثم إن نفس الموكب الذي كان قد جاء بالهاربين يعود بهم ظافرين إلى قراهم.

وإذا ما كانت المنازل قد أحرقت والمحاصيل أتلفت والمزارع خربت، فإن أعضاء الصف تكون جميعها تحت خدمة الضحايا، بحيث يعاد بناء المساكن وتحترث الحقول وتعوض الأشجار دون أن يكلف ذلك شيئاً لملاكها<sup>1</sup>.

هناك خاصة داخل هذه الصفوف ألا وهي تمويل الصندوق من طرف القبائليون وذلك عن طيبة خاطر لسد الحاجيات الضرورية لصف وعندما يكون قادة هذه الصفوف إلى أموال لتحضير مكائد أو قتل عدو خطير أو شراء ذمم، وهذه الأنواع من المساعدات تكون بسرية لا يعلم بها عامة الناس وهناك المساعدات التي يفصح عنها التي يتم النقاش عنها بطريقة عامة<sup>2</sup>.

ما يعيب على الصف القبائلي إذا قد قرر الانحياز لقضية عضو من أعضائه فسوف يستعمل الكذب من أجل ذلك بلا حياء و يدلي بشهادات زور، رغم أن الخوف من جهنم هو خوف حاد لديه، إلا أنه لا يجعله يتراجع عما تعد به<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 2، المصدر السابق، ص 18 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 16-17.

<sup>3</sup> نفسه، ص 14.

## 4- الفئات المؤثرة في الصفوف

داخل الصفوف هناك الكثير من الفئات التي تساهم في تسوية الخلافات أو الزيادة في حدتها حيث لكل عنصر دوراً هاماً يقوم به وذلك من اجل تبيان تضامنه لصفه ومن أهم هذه الفئات التي برزت داخل هذه التحالفات المرأة والمرابطين وسنلخص هذا الدور فيما يلي :

## 4-1- رؤساء الصف ودورهم

يعتبر رؤوس الصفوف أشخاص مهمون في البلد، ويملكون نفوذاً معتبراً ويمكنهم في بعض الأحيان أن يتوفروا على قوة مهمة فهم رجال يبرزون إما بفضل شجاعتهم أثناء الحرب أو عن طريق ذكائهم في حيك الدسائس، وكما أنهم في كثير الأحوال ينتمون إلى عائلات قوية من حيث العدد والثروة، ويعتبر الثراء من أهم شروط لكي يكون رأس الصف حيث يُحصى بثقة من طرف الصف حيث يتم اللجوء إليه في جميع الحالات، فيقوم بالاستماع إلى الشكاوي، ويتابع شؤون البلد، فهو لا يهتم بالقضايا العامة فقط وإنما أيضاً بالشؤون الخاصة<sup>1</sup>.

وكما أنه يقوم بدراسة عناصر الشقاق التي تحدث داخل الصف حيث أنه لديه مهمة أساسية تتمثل في الحفاظ على الوئام من بين أعضاء حزبه حيث في بعض الأحيان يحدث ثار قديم بين خريتين مما يهدد الصف بالانحلال وينبغي على القائد أن يكون قادراً وبالصبر والحكمة وبمختلف الوسائل على تهدئة النفوس وإطفاء الأحقاد وأحداث تفاهات، وبشارك إلى جانب ذلك إلى كل الإسهامات الصف، في بعض الأحيان يتحمل بمفرده التكاليف وذلك من أجل عدم تفتر حماسة الأعضاء من فرط تكرار النداء إلى الاشتراكات، وبضطر إلى تبديد ثروته وذلك بدون أي شكوى من ذلك لا هو ولا أهله لأن من المعروف

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 18.

عند القبائل لا شيئاً غالي عندما يتعلق الأمر بالصف فهمه الوحيد هو أن يرى حزب كبير موحد ومنضبط<sup>1</sup>.

المسيرون المهمون هم الذين لا يهتمون أي شيء قد يضمن لهم التغيير في حياتهم. فجميع القبائل يكسب في بيته عدد من الأسلحة (سيوف، بندقية، مسدسات... الخ) وعندهم دائماً احتياط من البارود والرصاص؛ واليوم الذي يجري فيه الصراع، يتسارعون لتقديم المساعدات اللازمة للذين ليس لديهم مؤونة الحرب، لكي يدافع الكل على أراضيهم والتصدي للأجنبي ويصلون إلى درجة إهداء مؤن لكي يتمكنوا من استدراج القبائل الأخرى إليهم وبهذه الطريقة يضمنون الانتصار أو النجاة من خطر يحرق بهم. فعلى سبيل المثال 1854م فرقة الحاكم العام تمركزت في آث يايا، خاف أهالي آث ياني من هجومهم عليهم، فنشروا خبر بأنهم سوف يطعمون مدة شهر كامل كل واحد يقبل المجيء الدفاع عن من يدافع عن منطقتهم، إضافة إلى ذلك يوفرون له في نفس الوقت كل ما يحتاجه من ذخيرة لذلك<sup>2</sup>.

نتساءل كيف أن مجتمع مثل هذا استطاع التحفض على قوة مرحة وحيوية عبر العصور، ففي معظم الأحيان كان يكفيه الدلال والخطأ والتطوع الغير المناسب من فرد واحد من الأفراد حتى يسوق الآخرين إلى يئس كبير<sup>3</sup>.

القبائل الذين يقطنون في الجبال، ركزوا كل كراهيتهم على الغزاة الذين سوف يكونوا معه دون رحمة وكل الوسائل مهما كانت تكون مناسبة لذلك، بحيث أن التصرف ورد الفعل في هذه الحروب لا يكون بنفس الطريقة التي يتصارع معه مع صف أو مجموعة أخرى، لأن

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج 2، المصدر السابق، ص 22.

<sup>2</sup> Charles Deveaux, **les kabailes du djurdjura**, op.cit, p 41.

<sup>3</sup> Ibid, p 43.

في هذه الحالة سوف يدافع على بلاده عزته وشرفه وكرامته وهي عبارة عن مسألة احترام الذات<sup>1</sup>.

لما تبدأ مناوشات بين القبائل يقوم رجال الدين الموجودون في المنطقة برفقة المقاتلين بتهدئة ونصح هؤلاء لكنهم يعرفون جيدا أن هذا لا يكفي لإخماد الحرب، وعليه أصبحوا يحاولون التخفيف من حدتها وذلك بسن بعض القوانين مثلا: أخذ قرار أنه لا يكون القتال في الليل، كما يمنعوه في يوم أو عدة أيام من الأسبوع، لأن ذلك اليوم يكون مبارك من طرف العناية وهذا مجرد خرافة ودعاية منهم وأحيانا رجال الدين يستطيعون حتى إلقاء الحرب ليس لمدة يوم بل لمدة معينة لأن تأثيرهم كبير في المجتمع. ناهيك أن الجهتين المتصارعتين إذا كان سبب الخلاف وجيه وخطير لا يأخذ برأي رجال الدين وتبقى الحرب مستمرة<sup>2</sup>.

#### 4-2- المرابطين والمرأة دورهم في الصفوف:

هناك الكثير من المؤثرات التي تأثر على ظاهرة الصفوف حيث يمكن لها أن تزيد في حدة الصراعات أو إخمادها إذ تلعب دور مهم بين أواسط الصفوف ومن بينها المرأة التي تعبر عنصر أساسي في الصراع إذ أنها لا تشارك في الصراع وإنما يبقيان في الخلفية حيث أنها تقدم العون في الصراع سواء من الناحية المادية أو المعنوية كتوفير الأسلحة أو تحضير الطعام أو الكلام الجميل من الشعر أو الزغريد وذلك لرفع من معنويات الرجال، ولا يمكن الحصول على حقيقة الخلاف إلا من النساء ، لأن سؤال الرجال تكون إجابته على حسب انحيازه لصفه، حيث أنه لا يهمل صفه إطلاقا<sup>3</sup>. فبالقدر الذي تكون فيه النساء

<sup>1</sup> Charles Deveaux ,op.cit , p 44.

<sup>2</sup> Ibid, p 44-45.

<sup>3</sup> كيسة بولجنت، المرجع السابق، ص 72.

بعيدات عن المشاهدات في الصفوف بالقدر الذي سوف تكون فيه سبب الصراع القائم باستعمال الكذب حول مسألة معينة، سوء لغرض أن تظهر نفسها في المجتمع لا غير<sup>1</sup>.

إلى جانب المرأة هناك عنصر آخر أكثر تأثير وهم رجال الدين -المرابطين- يتمثل دورهم في تقديم فتاوي لتهدئة النفوس المتصارعة لكي لا يكبر الخلاف ويصبح حرب، فلا يجد إلا الصبر واستعمال اللين والكلام الطيب مع هذه الأفراد التي تملك عزة نفس وكرامة كبيرين و التعطش للثأر للوصول إلى بر الأمان وتجنب الحرب الكبيرة<sup>2</sup>، إذ أنهم لا يتدخلون في الحروب أبدا وإن تدخلوا فيكون ذلك للعمل على عدم قيامها، لذلك هيبتهم وقدسيتهم دائما بين الناس<sup>3</sup>. ويعملون دائما على الحفاظ على الثقة التي يكنها الناس لهم، ولا يزعزعوا الاحترام والتأثير الذي يتمتعون به في المجتمع<sup>4</sup>.

هم الفئة الوحيدة التي تبقى خارج الصفوف وذلك على حياديتهم لتفعيل المصالحة وإصلاح ذات البين وفض النزاعات بين المتخاصمين<sup>5</sup>.

من بين العوامل التي جعلت السكان يلتفون حول المرابطين هو بأسهم من الحالة التي كثر فيها النزاع والصراع وفقدانهم الثقة في الزعامات المحلية السياسية وغياب السلطة المركزية القادرة على حل النزاعات السائدة في المنطقة إذ كان المرابطين الحل البديل لهذه السياسة المبنية على المال والجاه والسلطة فالمرابطين كل ما يسعون إليه هو نشر العدل وتطبيق الأحكام الشرعية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Jules Liorel, **kabyle du jurjura**, op.cit, p 338.

<sup>2</sup> Charles Deveaux, **les kabailes du djurdjura**, op.cit, p 43.

<sup>3</sup> كيسة بولجنت، المرجع السابق، ص 72.

<sup>4</sup> Julie Liorel, **kabyle du jurjura**, op.cit, p 338.

<sup>5</sup> محمد أرزقي فراد، **المجتمع الزواوي...**، المرجع السابق، ص 103-104.

<sup>6</sup> S -A Boulifa, **le djurdjura a travers L'histoire**, berti, éditions , p158.

فالمرابطون يتجنبون الوقوع كوسيط في هذه الصراعات ولا التدخل فيها، لكن ليس الكل فنجد البعض تتغلب عليه أهوائه فيلجأ إلى إقامة الدسائس<sup>1</sup>.

#### 3-4 آثار ظاهرة الصف في بلاد زاوية:

##### الآثار السلبية

إن القبيلة تنقسم إلى بطون وعشائر وأفخاذ ولها فروع تعيش في الشمال والجنوب وأخرى في الشرق والغرب، وقد تسبب هذا الانتشار ونظام الحل والترحال في العديد من الخلافات والنزاعات وحتى الحروب الدموية أحيانا بسبب الأرض، مما أدى إلى ظهور علاقات الحرب والسلم وظهر نظام الأحلاف بين القبائل مع الاحتفاظ بحرية القبيلة<sup>2</sup>، وهو ما أدى إلى فشل جميع محاولات التوحيد بالتبعية وهذا ما يسميه الباحثون الفرنسيون بخاصية "الصف" وهي خاصية انقسامية ظهرت لدى المجتمع البربري منذ القدم . وقد اعتبروها خاصية سلبية لم تمكّن لوجود دولة مركزية في شمال إفريقيا؛ لتسببها في وجود صراعات وصدامات لكن في الواقع هذا النظام اللامركزي ليس نظاما همجيا متوحشا بل إن نظام الأحلاف أدى إلى ظهور سلطة مركزية يمثلها الملك ولقد كانت ملكية حرة لم تكن فيها عبودية معمة ولا إقطاع.

##### الآثار الإيجابية

الغريب أنه لا شيء كان يبرر وجود هذه الصفوف؛ إذ عدا التركيبة (أي الأطراف المكونة لك "صف")، لا يختلف "الصفان" المتصارعان عن بعضهما البعض في شيء، كما

<sup>1</sup> أ-هانوتو وأ-لوتورنو، ج2، المصدر السابق، ص 15.

<sup>2</sup> محمد الطاهر العدواني، المرجع السابق، ص ص 236-237.



أنهما لا يستهدفان الدفاع لا عن مبادئ محددة ولا عن مصالح معينة، وإنما يعارضان بعضهما البعض بلا أي منطق ولا أي هدف سوى المعارضة من أجل المعارضة<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> Tassaidht Yacine, **Les kabyles : éléments pour la compréhension de l'identité berbère en Algérie**, Ed.G.D.M, paris, 1992, pp 82-83.

## خلاصة الفصل

إن المجتمع الزواوي مؤلف من تراصف قبائل ليست غريبة بعضها للبعض تقوم على علاقات تحالف أو تعارض وهذا ما يدعى بالصفوف وهو البديل السياسي في بلاد زواوة نظرا لغياب الحكم المركزي في البلاد. ولهذا أخذ الصف دور الحماية وهو نظام يمكن أن يقسم القرية أو العرش أو حتى البيت الواحد إلى قسمان ويكون الوضع داخل هذه الثنائية غير مستقر نظرا لكثرت الصراعات والنزاعات وتعتبر هذه الثنائية من أهم مميزات بلاد زواوة وهو ينافي فكرة العدالة لأنه قائم على قاعدة وهي أنصر أخاك ضالم أم مظلوم.



من خلال دراستنا للمجتمع الزواوي توصلنا إلي مجموعة من الإستنتاجات:

- منطقة زاووة بلاد شاسعة تتمتع بمكان جغرافي هام، بحيث أنها محصنة طبيعيا بسلاسل جبلية منها: جبال جرجرة، جبال البابور، جبال البيبان، إذ يمكن القول أن منطقة الزواوة تمتاز بطبيعة وعرة في غالبها لكنها ساحرة وخالبة.

- إن الطابع الطبيعي والجغرافي المعقد الذي تتسم به المنطقة عاملا أساسيا في رفض سكانها لأي شكل من أشكال الهيمنة. التي توالى عليهم، الأمر الذي يرجع إلى تعلق الفرد الزواوي بأرضه وبتنظيماته السياسية والاجتماعية، واستعداده للدفاع عنها وضمان استمراريتها تأكدا منه على اضطلاع الحرة المطلقة.

- خصوصية التنظيم الاجتماعي في منطقة زاووة، جعل منها منطقة منعزلة مغلقة على ذاتها يستند أهلها في تسير شؤونهم الحياتية وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية إلى الأعراف المحلية مع تبنينهم لقيم الدين الإسلامي، بحيث نجحت هذه الأخيرة في تهذيب السلوكات الاجتماعية وإضفاء الشرعية على القوانين التقليدية، وعليه فالنظم الاجتماعية لسكان منطقة زاووة إنما هي نتاج تمازج بين القوانين التي أقرتها السلطة الزمانية الوضعية والقيم الدينية السماوية التي استلهمت من تعاليم الشريعة الإسلامية.

- تتمتع منطقة زاووة بتركيبة اجتماعية مميزة، متشكلة من وحدات اجتماعية لكل واحدة منها خصائصها ومميزاتها من ناحية التنظيم والحجم، حيث تنطلق من الأسرة كوحدة أساسية إلى القرية كنموذج كامل نوعي، ثم العرش كوحدة تشمل على مجموعة من القرى، تتفرع منها

## خاتمة

عدة تنظيمات وسيطية، تأتي في مقدمتها نظام ثجماعت "الجماعة" كمجلس للقرية وهيئة تنظيمية تتكفل أساسا بتسيير العلاقات الاجتماعية بين الأفراد باعتبارها أعلى هيئة قضائية واجتماعية وسياسية مما أضفى نوعا من التلاحم والتآزر الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

- المجتمع الزواوي مجتمع يُعرف عليه التماسك والتلاحم والتعاون والتضامن بشتى مظاهره ودلالاته الواسعة، وفي جميع مجالات الحياة، سواء في السراء أو الضراء، وقد استفاد منه حتى الغرباء أثناء تواجدهم خارج قراهم لقضاء حاجاتهم. فالعرف الزواوي قضى على القلق واللامن الذي كان يعاني منها الغريب، ووفر له الأمن والاستقرار فيما يسمى بـ"العناية".

- ظهرت القيم العرفية في عدة فعاليات، "ثيويزي" (التطوع)، "ثيمشروط أو لوزيعة" (الذبح الجماعي)، والحروب الهادفة إلى إعادة الاعتبار للشرف فقط بحيث لم تكن تهدف إلى التوسع. وغيرها من الفعاليات.

- عدم تمكن السلطة العثمانية بالجزائر من إحكام قبضتها على منطقة فقد بقيت السلطة الفعلية في المنطقة بأيدي أبنائها الذين عاشوا حياتهم تحت تنظيم واحد هو العرف الذي كانت أداة تنفيذه هي الجماعة. وهذا أكبر دليل على تطور أسلوب إدارة المنطقة، حيث كانت الحياة ستكون صعبة وسط الفوضى والاعتقالات والاضطرابات والنزاعات القبلية إضافة للفقر الذي يجعل الإنسان عدو مبادئه، لذلك فأسلوب السكان في تنظيم حياتهم جعل منها أسهل بكثير مما لو كانت تحت ضغط السلطة، طالما أن هؤلاء يرفضون الرضوخ لأية سلطة خارجية، غير سلطتهم هُم، أي سلطة الجماعة المتكونة من أبنائهم.

- تمكن المجتمع الزواوي من ضمان الحد الأدنى من الاستقرار لأفراده، بفضل الثقافة العرفية النابعة عن الجغرافية المحلية، والطافحة بالقيم الإنسانية المبنية على احترام كرامة الإنسان .

## خاتمة

- بالنسبة للحياة في المنطقة كان التسلط إن صح التعبير من صفات الكثيرين، حيث نجد القوي يفرض نفسه على الضعيف كل على من استطاع، سواء من حيث السلطة وفرض قوانينه.

- عرفت المنطقة مجموعة من الصراعات الحادة ذات التأثير البالغ .

- صرامة القوانين الزواوية، بحيث تحاسب على كل خطأ يرتكب سواء كان صغير، وما أدراك ما إذا كان كبير.

- الفرد الزواوي لا يقبل أي مساس في ما يخص كرامته التي يعتبرها فوق كل اعتبار ولا يسمح عن أي اعتداء عليها. كما يعتبر الشرف الزواوي الخط الأحمر الذي لا يجراً أحد على تجاوزه مهما كان.

- العرف الزواوي ليس كله خير، ففيه جوانب سلبية أفضت مضاجع الناس، كذهنية الثأر التي تعتبر من أشنع المظاهر التي عرفت المنطقة في الفترة الحديثة، ذات التأثيرات السلبية على المجتمع، التي تقضي بقتل القاتل والمعتدي على الحرمات ولو طال الزمن، كما ينجم ورائها الكثير من النزاعات والصراعات.

- القتل جريمة لا يغفر لها، فتعرض صاحبها للقتل الحتمي الذي لا يسلم منه حتى أقاربه.

ناهيك عن ظاهرة الصفوف التي تتميز بها بلاد زواوة فهي قائمة على قاعدة الثنائية.

ظاهرة الصف يمكن أن تقسم قرية أو عشيرة إلى صفيين متعارضين حتى أنها يمكن أن تقسم بيت واحد إلى طرفيتين متعارضين لأسباب بسيطة ينتج عن ذلك حزبان أحدهما يدعى "الصف وادا" والآخر "الصف أوفلا" .

## خاتمة

- بالنسبة للمرابطين والشيوخ كان دورهم مهم جدا في منطقة الزواوة لما يتمتعون به من نفوذ على السكان، في مختلف الجوانب الحياتية التي تتلخص في الجانب الإيجابي والسلبي منه فالأول منه كان من خلال :

\* ربط أواصر الأخوة والتعارف بين السكان من خلال تلك اللقاءات الدينية التي يقومون بها لتوعية الناس، وتعريفهم بأحكام الشريعة الإسلامية. خلال المناسبات الدينية.

\* تنظيم المجتمع المحلي والعمل على التوفيق بينها وبين العرف المحلي.

\* إصلاح ذات البين. والمساهمة في حل المشاكل، والخلافات بين السكان دون اللجوء إلى القوى السياسية المحلية، أو المركزية. وبذلك جنبوا السكان من تدخل الإدارة المركزية في الشؤون الداخلية للمنطقة، واكتفوا بجباية الضرائب الشرعية.

\* كان له محاولات كثير للقضاء على ذهنية الثأر والتخفيف منها.

\* لعبت دورا كبيرا في إخماد الصراع الذي كان سائدا بين الأعراس المختلفة. وكذا الحد من ظاهرة الصفوف، التي كانت سائدة في المنطقة، والتي عملت السلطة المركزية على استغلالها لخدمة أغراضها، وأهدافها بالمنطقة.

لكن هذا لا يعني أن دورهم يقصر على الإيجابي منه فقط فقد كان لهم بعض السلبيات الممثلة في:

\* إقامة الدسائس بين الناس لما لا يتماشى مع مصالحها الشخصية وعندما تتعرض امتيازاتها إلى الخطر.

\* ساهموا في انتشار ظاهرة الاعتقاد عصمة المرابطين، والأولياء، وتقديسهم، وتقديس ذريتهم. مما ساعد على انتشار البدع، والخرافات لاستمالة العامة.





ملحق رقم 1: خريطة بلاد زاوة



المرجع: محند أكلي آيت سوكي، تأثير القوي الدينية في منطقة القبائل... ص 183.

ملحق رقم 2: صورة لقرية قبائلية



المرجع: غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ص 360

ملحق رقم 3: مجلس ثجماعث في بلاد زواوة



المرجع: مبروك موهوب، التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل... ص 158.

ملحق رقم 4: تيمشراط في منطقة زواوة



المرجع: مبروك موهوب، التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل...ص157.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ  
مِنْ طِينٍ مِنْ سَفَلٍ  
أَسْفَلِ الْأَرْضِ  
فَنَسَفَهُ خَالِدًا فِيهَا  
ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُ  
إِلَى قَوْمٍ لَدُنَّا  
وَعَلَّمْنَاهُ  
بِقَدْرِهِ  
وَعَلَّمْنَاهُ  
بِقَدْرِهِ  
وَعَلَّمْنَاهُ  
بِقَدْرِهِ

### المصادر بالعربية:

- ❖ القرآن الكريم، الآية 1 من سورة الصافات .
- ❖ القرآن الكريم، الآية 45 من سورة المائدة.
- ❖ ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، القسم الأول، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421 هـ/2000م.
- ❖ آث ملويا حسين، القانون العرفي الأمازيغي، د ط، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .
- ❖ خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، د ط، تق وتغ وتغ: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP.
- ❖ شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، د ط، تغل وتغ: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ❖ كريخال مارمول، إفريقيا، د ط، ج1، ترح: محمد حجي، محمد زينبر وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د ت، الرباط، المغرب.
- ❖ مالتسان هاينز فون، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، د ط، ج2، تر: أبو العيد دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- ❖ المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، د ط، د دار النشر.
- ❖ هابنسترايت جون، رحلة العالم الألماني جون هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، د ط، ترح وتغد وتغ: د- ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013.

## قائمة المصادر والمراجع

- ❖ هانوتو - أ لوتورنو-أ، **منطقة القبائل والأعراف القبائلية**، د ط، ج2، تر: إبراهيم سعدي، منشورات الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر.
- ❖ هانوتو-أ ولوتورنو-أ ، **منطقة القبائل والأعراف القبائلية**، ج3.

أرشيف بالفرنسية:

- ❖ « l'évolution de Djemaa dans la C.M. de fort National 1857-1947 », in Archives CAOM S3(13-3).

- المصادر بالفرنسية:

- ❖ Boulifa Si Amer, **le djurdjura a travers L'histoire**, berti, éditions.
- ❖ Daumas (Le général), **Mœurs et coutumes de l'Algérie**, Librairie de L.Hachette et Cie, paris, 1853.
- ❖ Daumas et Fabar, **la grande kabylie**, librairie de l'université royale de France, paris, 1847.
- ❖ Depont Octave et coppolani Xavier, **les confréries religieuses musulmanes** , Alger, 1897.
- ❖ Deveaux Charles, **les kabailes du djurdjura**, Marseille Camoin frères, libraires, éditeurs, paris, 1859.
- ❖ Lacoste Camille dujardin, **Géographie culturelle et géopolitique en kabylie**, in Hérodote, n<sup>0</sup>103, 2001.
- ❖ Liorel Jules, **Kabylie du jurjura**, Ernest leroux, éditeur, paris, 1892.

- ❖ Mahé Alain, **Histoire de la Grande Kabylie 19–20 siècle**  
Anthropologie Historique du lieu social dans les communautés villageoises, Editions Bouchéne et éd Edif, 1<sup>er</sup> édition, 2001.
- ❖ Masqueray Emile, **Formation des cites chez les populations sédentaires de l’algérie**, Réimpression de l’ouvrage publié En 1886, présentation par Fanny colonna, Edisud, Aix–en–provence, 1983.

### المراجع بالعربية:

- ❖ بن عتو محمد بلبروات، **المدينة والريف في الجزائر في أواخر العهد العثماني**، د ط، ج2، كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016م.
- ❖ بنسالم ليليا وآخرون، **الأنثروبولوجيا والتاريخ ( حالة المغرب العربي)**، ط2، تر ع. السبتي وع. الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، 2007.
- ❖ بوعزيز يحيى، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، د ط، ج 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995.
- ❖ بوعلامة عبد الكريم، **بنو يعلى لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 04 - 2006.
- ❖ بونوار فريد، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830م**، د ط، وزارة الثقافة، دار الواحة، الجزائر، 2009.
- ❖ جودت عبد الكريم، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر، د ت.



## قائمة المصادر والمراجع

- ❖ جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي، د ط، مؤسسة تالوت الثقافية، 2011 م.
- ❖ خلفات مفتاح، قبيلة زاوية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ - 9هـ / 12م - 15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د ت.
- ❖ الداودي سعيد بن عبد الله، حول عروبة البربر مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، ط1، منشورات الفكر، ، 2010 م.
- ❖ الزواوي أبو يعلى، تاريخ زاوية، ط 1، مر وتعل: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005 .
- ❖ سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، د ط، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- ❖ العدواني محمد الطاهر، الجزائر منذ نشأة التاريخ(عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ)، د ط المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- ❖ عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 10-2008،.
- ❖ عميراي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)، د ط، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، 1984.
- ❖ فراد محمد أرزقي، أزفون تاريخ وحضارة ، ط1، دار الأمة، د م، 2003 م.
- ❖ قاسيمي زبدین، قيادة سيباو(تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د ت.
- ❖ كامب غابرييل، البربر ذاكرة وهوية، د ط، تر: عبد الحليم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.

## قائمة المصادر والمراجع

- ❖ الميلّي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، د ط، ج3، تق: محمد الميلّي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ت.
- ❖ الورتلاني الفضيل، **الجزائر الثائرة**، د ط، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009 .

### المراجع بالفرنسية:

- ❖ Chaker Salem, **Les kabyle encyclopedie djemaa**
- ❖ Gahlouz Mustapha, **les qanouns kabyles anthropologie juridique du groupenet social villageois de kabylie l'harmattan, 2010.**
- ❖ la tribu des Ath waghliis entre histoire et legende.
- ❖ Yacine Tassaidht, **Les kabyles** : éléments pour la compréhension de l'identité berbère en Algérie, Ed.G.D.M. , paris, 1992.

### المعاجم:

- ❖ ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 1، تح: عبد الله عبد الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة.
- ❖ بن دريد أبي بكر محمد بن الحسن، **كتاب همزة اللغة**، ج 1، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- ❖ بن زكريا أبي الحسن أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ - 1979م.
- ❖ صليبا جميل، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية**، د ط، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.

## قائمة المصادر والمراجع

- ❖ العروبي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ط2، ج1، المركز الثقافي العربي، 1996م.
- ❖ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
- ❖ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994.

### القواميس:

- ❖ بن هادية علي، بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحي، القاموس المدرسي، الشريكة الوطنية للكتاب الجزائري، د.ت.
- ❖ شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت، 1981م.

### الرسائل والمذكرات:

- ❖ آيت سوكي محند آكلي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10-13/16-19م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006م-2007م.
- ❖ آيت صديق منيرة، المرأة الريفية وفعاليتها في توظيف المقدس السحري-دراسة أنثروبولوجيا لمنطقة "تيزي وزو"، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000م/2001م.
- ❖ بن الشيخ علي، مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه تخصص لغة وثقافة أمازيغية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2017-2018م.
- ❖ بولجنت كيست، العادات والتقاليد في بلاد الزواوة بين القرنين 17 / 19 م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر -2، الجزائر، 2009م-2010م.
- ❖ بومجرات بلخير، فرنسا الكولونيالية وسؤال الهوية في منطقة القبائل، جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم، الجزائر.

- ❖ حداوي محمد، القبيلة الأحزاب والانتخابات في ظل التعددية في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014م.
- ❖ حمداني مالية، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية-دراسة ميدانية في مدينة ذراع بن خدة وقرية ترمتين-، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: شولي كلودين، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009م-2010م.
- ❖ سعداوي مصطفى، الولاية الثالثة في الثورة الجزائرية: التاريخ الاجتماعي للقرى الثائرة، ج2، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2018.
- ❖ سعودي يسمينة، النظام العسكري والإداري في مشدالة مابين 1830 و1897م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004-2005م.
- ❖ فراد محمد أرزقي، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية(1749م-1949م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر.
- ❖ موهوب مبروك، التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل وأثره في صمود سكانها ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتجة فيها(1857-1914م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، جامعة الجزائر-2-بوزريعة، الجزائر، 2010م-2011م.
- ❖ مقالات:
- ❖ ايزيري بوجمعة، مجتمع منطقة القبائل في القرن 18 م عبر شعر يوسف أوقاسي، الملتقى الوطني حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، تيارت 13-14 أكتوبر، 2002م.

## قائمة المصادر والمراجع

---

❖ المجالات:

❖ علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، نظرية العصبية قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون، مجلة كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس (آذار) 2011م، ربيع أول 1432هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

إهداء مليكة

إهداء كريمة

مقدمة.....أ-ز

08..... الفصل التمهيدي: لمحة عن بلاد زاوة

09..... - التعريف ببلاد زاوة

12..... - بنية المجتمع الزواوي

22..... - مظاهر التعاون والتلاحم في المنطقة

33..... الفصل الأول: ذهنية الثأر في المجتمع الزواوي:

34..... - ذهنية الثأر: المفهوم والأهمية

36..... - العوامل والأفعال المساعدة على انتشار ذهنية الثأر

39..... - عملية الثأر: الإجراءات والنماذج

46..... - العلاجات الاجتماعية لظاهرة الثأر

63..... الفصل الثاني: ظاهرة الصفوف في المجتمع زاوة

64..... ظاهرة الصفوف: الصف في بلاد زاوة

69.....	نبذة عن تشكل الصف في بلاد زواوة.
79.....	تكوين الصفوف في بلاد زواوة.
86....	الفئات المؤثرة في الصفوف
94.....	خاتمة.
100.....	الملاحق.
108.....	قائمة المصادر والمراجع.
117.....	الفهرس.